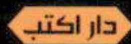
الطبعة 3

سلسلة السر 1

اللعنة الأولى

أسماء كارم



٢٣٧٨٣٤

اللعنة الأولى

اللعنة الأولى

أسماء كارم

الطبعة الثالثة ، القاهرة 2017م

غلاف : أحمد فرج

تدقيق لغوي : خالد المصري

رقم الإيداع : 7085 /2014

I.S.B.N: 978-977-488-292-0



دار اكتب للنشر والتوزيع

العنوان : 12 ش عبد الهادي الطحان ، من ش الشيخ منصور، المرج الغربية ، القاهرة ، مصر

هاتف : 01144552557

بريد إلكتروني : daroktob1@yahoo.com

اللعنة الأولى

رواية

أسماء كارم



دار اكتب للنشر والتوزيع



الإهداء

إلى روح جـدتي الـغاليـة رحمهـا الله ... ملهمتي لكتابـة هذه السلسلة.

إلى أمي الحبيبة .. الكاتبة سمية غباشي.. قدوتي ومثلي الأعلى.

إلى أبي الغالي.. الذي كان أمامي طوال حياتي ليعلمني كيف أكون.

وإلى ابنتي الحبيبـة ريتـال.. محركتي لأفعـل كـل شئ يجعلني فخر لها.



ربما تكن هذه مجرد قصة.. ولكن بعض أحداثها بالفعل واقعية.. حدثت في وقت ما.. لأشخاص بعضهم يعيش حتى الآن..



لم تعد تمتلك الشجاعة للعودة للنوم مرة أخرى بعد هذا الحلم المرعب، تعلم جيداً أنه لم يكن حلماً، هو كابوس، أجل كابوسٌ مقبضٌ من هذا النوع الذي قد يستمر أثره معك أياماً بعـــد أن تفيق منه، لم تكن تعلم أبداً سرّ هذه الزهرة التي لا تراهـــا إلا في هذا الحلم، وكيف لزهرةٍ أن تتحول فجأةً لسكينٍ يخترق عنقها؟ قبل قليلٍ كانت مجرد زهرةٍ انحنت لتشتم عطرها، من صـــاحب هذه اليد اللتى كانت تحمل الزهرة؟ مجرد يدٍ وكأنها تـــشاهد مشهداً غريباً موجّهاً في فيلمٍ نفسيٍّ مركّب يتعمد فيه المخـــرج عدم إظهار شيءٍ سوى يد القاتل ليحفّز إثارة المشاهدِ للمتابعـــة حتى النهاية، عجيبٌ هو هذا الإحساس، حين تشعر أنك بكامل إرادتك تستكين لتكمل حلمك، حتى تعلم نهايته ، حتي وإن كان الحلم معبراً لدرجة أنه يصبح،.فيلم رعب.

- لم تكن هذه العيادة مختلفةً كثيراً عن العيادات النفسية الأخرى، جميعها تتشابه مهما اختلف الديكور، هي مجرد بابٍ مفتوحٍ ومكتبٍ للممرضة أو السكرتيرة وانتريه للانتظار، لوحاتٌ تغطي بعض أجزاء مختلفةٍ من الجدران ، وربما أصيصٌ من النحاس يوحي بعمق جذور الشتلة التي وُضعت فيه على الرغم من أنها في أغلب الأحيان شتلةٌ صناعية، عجيبٌ هو العمق النفسي في هذه البلد، الذي يبتعد عن التكلف لخلق نوعٍ من الراحة التمهيدية لجلسة ضغطٍ مكثّفة فيتكلّفون في البساطة التي تخلق نوعاً من الإحباط المسبق لكل من هم بالمكان.

- مدام جميلة، الدكتور بانتظار حضرتك.

(قاطعت الممرضة تفكيرها).

- آسفة ، افتكرت معاد مهم.

همّت جميلة بالنهوض واتجهت نحو الباب مسرعةً قبل أن تردّ عليها الممرضة، لم تدري لماذا فعلت هذا؟ لماذا لم تدخل للدكتور، هل كانت تخشى من الإجابات على استفساراتها حول هذا الحلم الغريب الذي يراودها يوميا منذ ثلاثة أشهر؟ ربما ، أو ربما كانت خائفة من هذا التهديد، صمتت بتفكيرها لحظةً ثم بدت عليها نظرة اندهاشٍ وتساؤلٍ لنفسها في المرآة.

- جميلة ، إتجنني؟ انتي صدقتي الست اللي في الحلم، ده مجرد حلم! ده مجرد حلم!.

فُتِح باب الأسانسير بسرعة فتمالكت أعصابها وهربت قبل أن يلاحظ اضطرابها أحد.

كانت جميلة مجرد مدرسة علم نفسٍ و فلسفة، قنوعة، راضيةٌ بحالها طوال الوقت ، وحيدة ، فهي ظلت تخدم والديها حتى توفيا في حادثةٍ منذ عامين ولم تتزوج لأنها لم تكن ترغب أبداً بشيءٍ يبعدها عن نفسها وعاداتها المتطرفة، كما وصفتها، فهي عاشقةٌ لليل، للقمر، تحب مناجاته وتعقد معه الصفقات الغرامية الخفية ، تراقب النجوم ، تسترق السمع لحفيف الليل بين أوراق الأشجار، لم تكن تريد شيئاً يبعدها عن متعتها في ممارسة تلك العادات اليومية التي عشقتها منذ الطفولة.

جلسَت مثل كل يومٍ في الظلام الدامس، هي ليلةٌ غير مقمرة، الضباب كثيفٌ يمنعها من رؤية النجوم، يومٌ كئيب؛ إحساسٌ مُقبضٌ جداً، الأشجار تتحرك بسرعةٍ عجيبة، والهواء يُطلق صفيراً مُنفراً، حاولَت أن تتمالك نفسها ، وضعت يدها على المنضدة أمامها لتحمل زهرةً وضعتها، قربتها من أنفها لتبتعد بعطرها عن هذا الطقس المخيف المربك، يا لروعة رائحتها ؛

وفجأةً سرت قشعريرةٌ في جسدها جعلتها تتجمد مكانها، وقفَت صرختها بحلقها حتى كادت أن تختنق، ما هذه اليد التي رســـت على كتفها؟ لم تكن تقوى حتى على النظـــر خلفهـــا، تمالكـــت أعصابها ، قررت الصراخ... صرخت بكل قوتهـــا، ولكنـــها لم تسمع شيئاً، حاولت مرةً أخرى... ما من فائدة ، كانت هـــذه اليد تقبض عليها أكثر فأكث، حاولت النهوض، ولكنها لم تكن تقوى على التحرك ، وكأنها أصيبت بشللٍ مفاجئٍ مـــن هـــول الصدمة، تماللكت أعصابها ونظرت للخلف ، هي نفس الـــسيدة البغيضة ، ولكن تغيرت ملامحها، أقصد هي لم تكن سوى بغيضةً من البداية ولكن هذه المرة إزدادت بشاعةً حتى أصبح شـــكلها مرعباً، لم تختلف كثيراً عن هؤلاء البشر الذين يـــصيبهم مـــرض تآكل أجسادهم المعروف بالجذام، مثل الزومبي، و كانها جثةٌ ميتةٌ بدأت في التحلّل منذ فترة ثم قررت العـــودة للحيـــاة لتـــستقر خلفها، مشعثة الشعر،محرشفة الجلد، حقاً مرعبة.

إنتفضت فجأةً حتى سقطت على الأرض ، لم تكن تعلم كـــم مرّ من الوقت ، لحظاتٌ من الصمت المُقبِض شقّه صوتٌ منفّـــر حوله كمٌّ عجيبٌ من الصدى...

– قلتلك انتي حرة ، لكن لو حكيتي لحد حاجة تبقي طلعتي السر بره، ساعتها هاتندمي، السر اللي يتفضح ما فيش لصاحبة حياة، وعمرك ما هاتعرفي تقفلي الباب اللي فتحتيه عليكي وعلى كل حد شدتيه معاكي، وبداية الفعل تفكير فيه.

– ردّت جميلة : أنا ماحكيتش حاجة ! إنتي مين؟ إنتى مين ؟ وباب إيه ؟

لم ترد عليها السيدة ونظرت بجانب جميلة مبتسمة، فنظـــرت جميلة لتجد يداً تخرج من الظلام ، لم تكن تحمل زهرةً بل كانت ممتدةً وكأنها تحاول مساعدتها على النهوض، مدت يدها دون أدنى تفكير، فما هو الذي سيكون أسوأ من هذه السيدة التي لا تعلم من أين جاءت ،. ولكن سرعان ما فاجأها الأسوأ حين التفـــت هذه اليد حول رقبتها، حاولت التنفس، ضربات قلبها بدأت في الخلل، لم تعد تستطيع التنفس، تيبّست جميع أعـــضائها، ظلّـــت تحاول وتحاول.

***

– مين فيكم اللي بلّغ عن الحادثة دي؟

– أنا يا فندم.

– تقربلها إيه وعرفت منين إن فيه حاجة ؟

– أنا يا بيه أبقى البواب، والأبلة جميلة بتبعتني أقضيلها مشاوير كل يوم، أصلها متعودة أجيبلها الغدا من المطعم اللى في أول الشارع، حاكم هي عايشة لوحدها من يوم أبوها و أمها الله يرحمهم ما ماتوا، ولما مالقيتهاش باينة ليها يومين قلقت، طلعت أخبّط مالقيتش صوت، فتحت الباب بالنسخة اللي سايباها معايا لقيتها زي ما انت شايف كده يا بيه.

ظلّ رجال البحث الجنائي ينتشرون فى المكان حتى انتهوا من عملهم في المترل الذي كان يقبع في نهاية الشارع ، و أُغلق البيت الكبير، الذي اصبح منذ الآن عشّاً لمرتادي الليل من قصص الأشباح المشهورة.

إتّجه أحمد الطويل وكيل النيابة الشهير إلى مكتبه وجلس متجهماً يفكر في تلك القضية الغريبة التي أصبحت هي شغله الشاغل منذ أسبوعين، أسبوعين ليست مدةً طويلة، ولكنها من المفروض أنها مدة كافية بالنسبة له حتى يربط عدة خيوط ويتوقع

النهاية، ولكنه حتى الآن لم يصل لشيء، شرد قليلاً ثم نظـــر إلى التليفون.. كيف لم يفكر فيه من قبل، اتصل على الفور بـــالرقم الوحيد الذي لا ينساه أبدا.

- ألو،. مساء الخير يا خالد.

- أحمد بيه ، إيه القضية اللي سمعتنا صوتك.

- وراك إيه النهارده.

- ولا حاجة ، أنا كنت مروّح دلوقتي .

- طيب ماتيجي نتقابل، عاوز آخد رأيك في حاجة.

-أطلق أحمد صفيراً هادءاً يدلّ على الدهشة، دي شـــكلها قضية تقيلة أوي.

- بس على مين، ها ، نتقابل فين؟

- الساعة 7 هاكون عندك .

- 7 بالدقيقة هافتح الباب، ولو ماكنتش قدامي انت عارف إيه اللى هايحصلك.

انتهت المكالمة على صوت ضحكاتٍ متبادلةٍ من الطرفين.

جلس أحمد يفكر، هل سيستطيع خالد مساعدته؟ ربما، فهـــو طبيب تشريحٍ وكاتبٌ لقصص الجرائم الواقعيـــة ، لا يـــستهان بعقله، وزميله منذ الصغر ، كانا يلعبان سوياً والآن يعملان سوياً وهما أيضا جيران سكن، بالتأكيد يستطيع خالد فهم أحمد مـــن عينيه دون حديث، ولكن هل سيستطيع فهـــم هـــذه القـــضية الغامضة؟؟؟؟

دقّت السابعة، ودقّ جرس الباب، فتح أحمد البـــاب فـــوراً مستقبلاً خالد بابتسامةٍ هادئة.

– أهلاً خالد اتفضل

– مانا هاتفضل، بس شكلي كده هاتفـــضل معـــاك كـــتير النهاردة، مالك؟

– أبداً كالعادة ، جريمة قتل ، تكاد تكون كاملة.

– إستنى بس، نعمل كبايتين شاي وتحكيلي بالتفصيل الممـــل كل حاجة.

جلس أحمد على كرسيٍّ هزازٍ بجوار الأباجورة يتصفح عـــدة أوراقٍ بداخل ملفٍ ورقيٍّ بعد أن أطفأ كل الأنـــوار الأخـــرى،

بينما انشغل خالد بصبّ الشاي، ثم جلس بجانبه علــى أريكــةٍ مريحةٍ بجانب الأباجورة من الجهة الأخرى، وبدأ بالاحتساء.

– إحكيلي بقى ، إيه الموضوع.

– أمسك أحمد بصورةٍ من الملف وأعطاها لخالــد، وبــدأ في سرد القصة:

– دي جميلة.

– قاطعه خالد، لأ صراحة دي جميلة جداً.

– يا بني اهدى واسمع بقى، دي جميلة القتيلة، الــصورة دي قبل الحادثة بخمس أيام فى حفلة المدرسة، "

ثم ناوله صورةً أخرى وهو يكمل":

– ودي صورها اللي خدها الطب الجنائي لما اكتشفنا الحادثة.

انتفض خالد من مكانه وكأنه رأى شبحاً.

– إزاي! دي مش ممكن تكون نفس الإنسانة أبداً، الحادثــة نتيجة إيه؟

– إختناق، مافيش أي آثار على رقبتها لكن فقرات رقبتــها متفتتة بالكامل، الغريب ان حتى مافيش كدمة واحدة.

– يعنى إيه يا أحمد ؟ مافيش حاجة أبداً اسمهـــا إن العـــضم يتفتت ومايكونش فيه كدمات ، لكن برده لو اختناق مش ممكن يغير ملامح الشخص للدرجة دي، أنا مش فاهم حاجة !

– خالد ، ماتخنقنيش! خد الملف و إقراه كويس، وانا هاقوم أحضّر العشا وبعدين نتكلم، هتمشي بدري ولا إيه النظام؟

– وأنا من امتى بمشي واحنا عندنا شـــغل؟ قلـــت للحاجـــة وهابات معاك طبعاً، معسكر يا باشا لحد ما نحلّها بإذن الله، انت عارف الفضول مش هايخلينا نام احنا الاتنين إلا لما نفهم.

– طيب آدي الملف يا سيدي وأنا قايم.

ظل خالد يقرأ ملف الحادثة بنهمٍ وفضولٍ شـــديدين، نظـــر لصورة جميلة قبل الوفاة، جميلةٌ جداً، صُعِق حين علـــم ســـنها، 50 عاماً، كيف؟ تساءل في داخله ما السر الغريب الذي تحملـــه أنثى لتوقف الزمن وتجمد عمر أعضائها، لا يمكن أن يقتنـــع أن هذه العين الزرقاء، هذه النظرة المثيرة، لسيدةٍ فى الخمسين مـــن عمرها، هذا الوجه الناعم المنمّق، لا يحمل تفصيلةً واحـــدةً لأي تمهيدٍ لتجعيدةٍ من تجاعيد الزمن،كيف؟! شعرها الـــبني الفـــاتح يوحي بأن لونه طبيعيٌ غير ملطخٍ بأيٍّ من الألوان المـــستحدثة، لم

يزحف إليه أيٌّ من الشيب في مكانٍ ما، هذا الجسد المنحوت بدقة ، شابةٌ في العشرينات بكل المقاييس، ترتدي بلوزةً وردية اللون، قطنيةً واسعةً توحي بالتحرر وحب الحياة، قصيرةٌ على بنطال جينز ذو لونٍ أزرقٍ زهريٍّ زاهي جداً مما يعني أنها إنسانةٌ واضحةٌ جريئة، تمتلك قدراً كبيراً من حب الظهور، تضحك ضحكةً تبدو من وضْعِ الصورة أنها عالية الصوت، وتوحي أيضاً من نظرات الآخرين بالصورة معها، أنها ضحكةٌ تثير غيرة كل النساء من حولها.

استكمل قراءة الملف....

جميلة سيف الدين المصري، سيدةٌ في الخمسين من عمرها، تعمل مدرسة علم نفسٍ وفلسفة، وحيدةٌ في منزلٍ كبير، يمكن تسميته بفيلا من دورين، لا يوجد لديها أيٌّ من العاملين بالمنزل سوى بواب الفيلا، عبد الله السيد عبد الرحيم، 70 عاما يسكن بحجرةٍ خلفية في حديقة الفيلا مع زوجته سيدة البسيوني 65 عاماً والتي تنظف الفيلا كل أسبوع .

لم تكن على علاقةٍ بأيٍّ من الأشخاص حولها، إلا علاقات العمل التي كانت تنتهي أو تتجمد بموعد انتهاء العمل حتى عودتها للعمل مرة أخرى ، لم تتزوج لأنها لا ترغب في الزواج

برغم كثرة من يطلبون الزواج منها، يُشاع عنها انها لم تكن تريد الزواج لأنها تحبّ شخصاً ما لم تصرح بشيءٍ عنه إلا أنها قالت لزميلةٍ لها ذات مرةٍ أنها تحب شخصاً لا يوجد مثله في الدنيا ، ولن يصدقها أحد إذا علموا عنه.

تقرير الطب الشرعي، أثبت ان الوفاة نتيجة اختناقٍ بضغط شيءٍ ما على الرقبة أدى إلى تفتّتٍ غير مسبوق بفقرات الرقبة جميعها ولكن عجزوا عن تفسير عدم وجود أي كدماتٍ أو سحجات، إلى جانب أنه لا وجود لأي أثار مقاومة، إلى جانب تفجير لغزٍ أخر وهو أنهم لا يعلمون ما سر التقدم الغريب في السن، والتحول المذهل الذي وصلت أليه بعد موتها، شعرها ابيَضّ، يديها الطفلتين مجعدتين وتنفر منهما العروق، وجهها يحمل تجاعيداً حول عينيها وشفتيها تتحدث عن عمرها، جريمة قتلٍ تستحق التفكير، لا تشبه أياً من الجرائم الأخرى،لا توجد أي بصمات، تحلل الجثة بطيءٌ ولكن لا يوجد أي أثارٍ لأي مصلٍ أو دواءٍ بالأنسجة الفموية أو المعدية او الأمعاء، ولا يوجد آثارٌ لأي حقنٍ او استنشاق لأي شيء، جريمةٌ محيّرة، عادة ترافق حالة الاختناق بعض الأعراض مثل بروز العين مثلاً تصلّب عضلة اللسان ولفظٌ بسيطٌ للخارج، لم يُصدِر جسدها أيّاً من التشنجات العضلية التي تصاحب حتى نقص الأكسجين، كانت ملقاةً على الأرض وكأنها نائمةً نوماً هادئاً

إستيقظ خالد من نومه ليجد أحمد بوجهه يحاول أن يوقظـــه ليأكل معه

– إنت جايَ تشتغل وللا تنام؟

– هو أنا بقالي قد إيه أصلا؟

– بقالك ساعتين، الساعة دلوقتى 11 أنا قلت أسيبك ترتاح شوية، قوم بقى كُل لقمة وتعالى علشان هانعمل مشوار..

– مشوار فين دلوقتى؟

– هانروح الفيلا .

– فيلا جميلة؟

– إيه رأيك؟

– وهي دي محتاجة رأي، أنا شبعان يالا.

***

توجه أحمد وخالد للفيلا، وطلبا من عبد الله البواب أن يدخل معهما، ففتح لهما الباب وتركهما وذهب لينتظرهما بالخارج بعد أن أوصلهما لحجرة جميلة.

غريبةٌ هي هذه الغرفة، غرفةٌ مطليةٌ بلونٍ رماديٍّ غامقٍ كئيب، بها كمٌّ عجيبٌ من المرايا، مرآةٌ بالسقف، مرايا بثلاث جوانب بالغرفة وجانبٌ واحدٌ به رسومٌ غريبةٌ على الحائط، رسومٌ توحي بالجنون، ربما كانت تعتنق ديانةً غريبةً أو صاحبة أحد المبادئ التي تدعو للشذوذ الفكري أحياناً، مكتبٌ به عدة تابلوهاتٍ صغيرة، تماثيل لجماجم، بعض الحشرات المحنطة، سريرٌ أسودٌ صغيرٌ جداً تشعر معه بأنك يجب أن تنام على جانبك دون تفكيرٍ فى الحراك حتى تصحو، صغيرٌ جداً برغم وجود متسعٍ هائلٍ في الغرفة، لا يوجد شيءٌ منطقيٌ بالغرفة ولكن أيضاً لا يوجد شيءٌ غريب، فكل هذه مجرد اتجاهاتٍ شخصيةٍ ليس أكثر، ظلا يبحثا عن أي شيء، لا يوجد، إلا...

صندوقٌ غريب، لا يوحي بشيءٍ إلا أنه خرج من حكايات ألف ليلة وليلة، شكله غايةٌ فى القدم، به عدة أقفالٍ من النحاس القديم جداً، مرصعٌ بثلاث أحجار توحي بانها أحجارٌ كريمة، نقش عليه بالعربية حرفين (ج – س)، من الواضح أن

الصندوق قديمٌ جداً ولكن النقوش حديثة، وكأن شخصاً ما قد أعطاه هديةً مؤخراً لشخصٍ آخر.

كان الصندوق مخبأً بإحكامٍ شديدٍ بجانب السرير ولكن فضحته تلك المرآة بالسقف، فبريق الحجر مع إنعكاس ضوء القمر الخافت ينمّ ببساطةٍ عن شيء ما؛ لا يوجد مفتاحٌ بأي مكانٍ من الغرفة، ربما كان في حزينة بنكٍ ما أو في مكانٍ آخر، عموماً هي خطوةٌ موفّقة، فتخبئة صندوقٍ بهذا الشكل، يعنى أن بين أيديهما كنزٌ لا يُستهان به.

أخذ أحمد، وخالد الصندوق لمحاولة التعرف على هويته، ظلا ينتظران على أحرّ من الجمر تقرير الطب الشرعي في كنية الصندوق وتاريخه، أي معلوماتٍ حتى ولو كانت عن نوع الخشب المصنوع منه وعدد الأحجار المرصع بها وأسمائها، أي شيءٍ حتى ولو لم يكن ذو فائدة كان سيفيد .

دخل أحمد لمكتبه، واتكأ على كرسيٍّ من الجلد المريح وفتح أحد الملفات أمامه، بدأ في النظر للصور مرة أخرى ربما يجد شيئاً ما لم يلاحظه من قبل، حتى قاطعه خالد:

- صباح الخير يا أحمد بيه إيه الأخبار؟

- صباح الفل يا خالد ، تعالى ادخل.

- ما فيش أخبار؟

- عن إيه؟

- يعني هايكون عن إيه، الصندوق.

- صحيح ، أنا ازاي نسيت؟، استنى نتصل بيهم.

قاطع اتصاله قرع الباب

- إدخل.

- تقرير الطب الشرعي يا فندم.

- هاته بسرعة.

أسرع خالد بتناوله وفتحه ثم استطرد قائلا.

- عمر الصندوق 300 سنة.

- كام؟

- 300 سنة.

- خشب صندل قديم ومرصع بالياقوت والزبرجد.

– لقوا إيه جوه الصندوق؟

– ما اتفتحش.

– يعني إيه ما اتفتحش.

– يعني ما اتفتحش يا أحمد مش لغز، أو بقى فعلاً أكبر من لغز!

– مش فاهم حاجة !

– بس أنا فهمت.

جلس خالد يقرأ في كتابٍ يبدو مهترئاً، لم يكن من الورق العادي بل كان أصفر اللون محترق الأطراف، يدل الحرق على أنه كتابٌ قديم، خطوطه غريبة، وربما تخلوا حروفه من النقاط، لا يستطيع أحدٌ قراءته إلا إذا كان محتّكاً في مثل هذه الأشياء، كتابٌ غريبٌ يوحي بأنه قد خرج علينا من عهدٍ قديم ، لون حروفه أشبه بدماءٍ باهته لونها وخامة الورق وكأنها جلدٌ متحلل، وقعت عيناه على جملةٍ غريبةٍ لم يكن قد أدركها من قبل، ماذا تعني هذه الجملة؟

" فيعشقك ويأتي إليك بكل ما تريد، من مالٍ وجمال، ويجعلك شاباً وأنت شيخ عجوز حتى ينتهي عمرك، إلا أن العهد لا ينقض ، وإذا كشف سرٌ قتل صاحبه، ونقضه بالتفكير فيه".

سريعاً أتى إلى باله ملف صورٍ جميلة، نظر إلى صورها قبل الحادث وصورها بعد الحادث، إنتفض بمجرد مرور هذه الفكرة برأسه، مستحيل! مستحيل! بل هو أكبر المستحيلات.

إنتفض من مقعده إثر فزعه من جرس الباب، لم يكن ينتظر شيئاً ولم يكن ينتظر أحداً.

– مين؟

– إفتح يا بني أنا عمال اخبط عليك إنت فين.

– أحمد.. إدخل.

لم يكن أحمد معتاداً على رؤية خالد بهذه الهيئة، تعجب من مظاهر الفزع على وجهه فسأله باضطراب:

– مالك يا خالد وشك عامل كده ليه ؟

فاجأه خالد بطريقةٍ هستيريةٍ أشبه بالجنون:

- مش هاتصدق، أنا أصلاً مش مصدق، بص هو الموضـــوع أصلاً..

قاطعه أحمد مسرعاً:

- إهدى واتكلم بالراحة، أنا مش فاهم حاجة منك، مالـــك يابني، هو إيه اللي مش هاصدقه؟

- تعالى نقعد وهافهمك كل حاجة.

بدا الحوار من انفعالات خالد مريباً، ولكنه بدا هاماً أيضا، مما اضطر أحمد للإسراع بالسؤال:

- إيه الكتاب الغريب ده؟

- ماهو ده اللي هافهمهولك، أحمد، إنت بتصدق في السحر والجن والحاجات دي؟

إنطلقت ضحكات أحمد عاليةً ومتتابعةً كمن أصـــابته نوبـــةٌ هستيريةٌ من الضحك المتصل بشكلٍ غير منطقـــي، ثم اســـتطرد قائلاً:

- مين ؟! أرواح وسحر وجن، يابني إنـــت الكتـــب اللـــي بتقراها من أيام ثانوي دي شكلها لحست نافوخك.

– ماشي.. بص يا أحمد، ببساطة شديدة، أنا محتاج أشوف جثة جميلة، وأدخل أوضتها تاني، ومتأكد إن فيه جديد.

–ماحنا رحنا قبل كده ومالقيناش غير الصندوق.

– الصندووووووق!.. قاطعه خالد بصوتٍ عالٍ يسوده الدهشة من إثر نسيان شيءٍ بهذه الأهمية.

– الصندوق في المكتب عندي.

– يلا نجيبه حالًا.

مرت ساعتان وأحمد ينظر لخالد، وهو يتفقد الصندوق ويدوّن بعض الملاحظات الغريبة، لم يكن أحمد يوما مقتنعاً بهذه العلوم الغريبة التي تحل ما وراء الطبيعة، لم يكن يدرك يوماً أن هناك علمٌ يهتم بالفلك سوى الذي ينقش حظك اليوم ببعض الجرائد اليومية، أصلاً لم يكن مقتنعاً يوماً بأن هناك ما يسمى بالسحر والأعمال وما شابه، فكثرة مقابلته لهذا النوع من الدجالين كان يقنعه بأن الجميع كاذبون، هؤلاء الذين كانوا يخلطون المياه بماء الورد ومسحوق الكاري ويبيعونه بأغلى الأسعار لتلقيه الزوجة لزوجها ويمر عليه سبع مراتٍ ليعشقها.

لكنه كان متعجباً فعلاً لأمر هذا الصندوق، فقد كانت عيناه ترى شيئاً جديداً في كل مرةٍ ينظر إليه فيها، لوهلةٍ شعر بأن

الصندوق حيٌّ بشكلٍ أو بأخر، يتغير ويتشكل حسب زاوية النظر له، كذّب إحساسه بأن حجم الصندوق يتغير أحياناً وكأنه ينقبض و ينبسط، فالصندوق لا يمكن أن يتنفس، وما أن فكر في ذلك حتى شعر بقشعريرةٍ جعلته يقاطع عمل خالد قائلاً:

– مش كفاية؟، بقالك ساعتين.

– ششششششش

– نعم؟

– فاضلّي حاجة بسيطة، الصندوق ده مش طبيعي.

– يعني إيه؟

توقف الدم في عروق أحمد حينما سمع خالد، فلم يكن يتوقع أبداً ما سيسمعه، حينما استطرد خالد قائلاً:

– الصندوق ده غريب، زي التلج بس تلمسه يدفى، كإنه صاحي بيحس بيك، تحس إن حجمه بيتغير، كأنه بيتنفس، كأنه صاحي.

إختنق الحديث في حلق أحمد فعقّب على الكلام بصوتٍ يبدو متحشرجاً:

– تقصد إيه بالظبط؟

– الصندوق ده مش ممكن يكون من صنع بني آدم عــادي، ده إذا كان من صنع بني آدم فعلاً.

قاطعه أحمد مسرعاً كمن لا يريد أن يسمع أكثر من هذا

– بص يا خالد أنا اللي يهمني دلوقتي إني أفتح الصندوق ده.

إستطرد خالد..

– الصندوق ده ما ينفعش يتكسر لكن عندي حاجة ممكــن تفيد.

ذهب خالد ليحضر شيئاً ما من درجٍ في دولاب حجرة نومه، يشبة الخزنة المخبأة عن أيدي العامة، ثم جاء سريعاً يحمل حلقــةً كبيرةً بها عدة مفاتيحٍ ذات أشكالٍ غريبةٍ لم يرها أحمد مسبقا.

سأل أحمد متعجباً بلهجةٍ متهكمة:

– إيه المفاتيح دي جبتها منين؟

فرد عليه خالد بحدّة:

– الحاجات دي مافيهاش هزار.

فرد أحمد مكملاً تهكمه:

– يعني أنا لما أهزر المفاتيح هاتعضني؟

نظر إليه خالد نظرة محتقنةً وأردف:

– يمكن.

كان الرد مبهماً بالنسبة لأحمد ولكنه لم يقدر على إخفاء قلقة من هذه الكلمة، لم يكن مصدقاً لأيٍّ من هذه الترهات ولكنه لا يعلم ما سر خوفه هذه المرة.

انشغل خالد بتجريب المفاتيح على الأقفال حتى وجد مبتغاه، انفتح قفلٌ تلو الأخر ولكن مع كل قفلٍ كان أحمد يشعر بأن الصندوق يتغير.. أقنع نفسه بأن الأحجار في مكانها والأحرف لم تتغير، ابتعد بنظره بعيداً حتى انفتح الصندوق؛

كانت محتويات الصندوق غريبةً جداً، فهناك أكياس بخورٍ يعجّ برائحةٍ غريبة، بعض الأشياء المحنطة كقدم أسد، بعض الزواحف، وعقارب سوداء وبيضاء، عناكب أشار خالد بأنها جميعها من أنواعٍ نادرةٍ بعضها منقرض منذ أزل، مخطوطاتٌ جلديّةٌ عجيبة الشكل لم يرى مثلها، قوارير زجاجيةٍ احتوت على بعض السوائل العجيبة الشكل، كتبٌ قديمةٌ جداً يبدو من غلافها أنها كنزٌ من الكنوز الأصلية النفيسة التي لا يملكها أحد، رائحةٌ غريبةٌ انبعثت

من الصندوق جعلتهما في ثبات برغم حركتهما المستمرة، لم يكن أيٌّ منهما يعلم ماذا يحدث، لا يتحـــدثان، ولكنـــهما يتبــادلان النظرات لمحتويات الصندوق ثم لأعينـــهما دون حـــديثٍ علـــى الإطلاق..

قاطع أحمد هذا الصمت الطويل بسؤاله:

- إيه الحاجات دي، وإيه اللي يخلي واحدة زي جميلة تخـــبي صندوق زي ده عندها؟ دي أكيد مجنونة.

رد خالد بمنتهى الثقة:

- أو مجبرة.

بدا اضطراب أحمد واضحاً مختلطاً بعدم الفهم، والتـــشكك قائلًا:

- تفتكر أنا مجبر إني ألم العفاريت حواليا كل يـــوم بـــشوية حاجات غريبة زي دي؟

قاطعه خالد مبتسماً:

- إنت قلت عفاريت؟ يا راجل مافيش الكلام ده.

مرّت أكثر من ثلاث ساعاتٍ وهما يقـــرآن أسمـــاء الكتـــب الغريبة، أبناء الشيطان، الهجين، زواج الإنس والجـــن، شمـــوس

المعرفة، في علم التسخير، السحر الاحمر، السحر الأسود، خواتيم سليمانية، طواسين الجن والإنس، حتى وقعت عينيهما بالصدفة على إسمٍ غريبٍ جذب انتباههما مخطوطات إبن قادش.

قاطع أحمد بسرعة هذا التركيز البارد..

– دي أكيد مجنونة، هي بتحضر أرواح؟

فاجأه الرد من خالد:

– أو هما اللي بيحضروها.

– يعني ايه؟

– مش مهم، المهم لازم نروح الأوضة تاني.. أكيد هنلاقي حاجة.

– هنلاقي إيه؟

– يلا بينا، هافهم، وافهمك.

ظلّ أحمد محدقاً في خالد، وهو يبحث بين طيات الحجرة، تحت السرير فوق المكتب، هم بهز المكتب هزةً فتحت درجاً مخفياً أسفله، كان يحوي أشياء غير معروفةٍ بالنسبة لأحمد ولكن بدا على وجه خالد انتصارٌ لتحديه لنفسه.

سأل أحمد:

– إيه ده؟

أجابه خالد بمنتهى البساطة:

– ده كف.

– يعني إيه ؟

– تقدر تقول كده إن القتيلة كانت بتحضر بالسفلي.

– بالسفلي؟

أجابه خالد مفسرا:

– الناس اللي بتحضر جن بتحضر بطرق كتير وعلشان حاجات كتير، فيه حاجات عادية، طرق هبلة زي اللي كنا بنعملها أيام ثانوي، لكن فيه طرق تانية بتتسمى سفلي، بحاجات حرام، فيها طقوس غريبة، زي تقديم نفسهم للشيطان، هبة يعني.. زي ما تقول كده بيوهبوا نفسهم للشيطان علشان يساعدهم بحاجات، الفكرة بقى هنا إنك مش ممكن تقدر تقول إن اللي قتلها جن.

إبتسم أحمد ابتسامةً عريضةً ثم أردف قائلاً:

– لأ طبعاً، أقولهم جن فيدخلوني أنا مصحة.

– بس للأسف تقريباً ده اللي حصل.

فرد أحمد مبتسماً:

– لا يا شيخ.

– مش قلنا متهزرش في الحاجات دي.

– بُص يا خالد أنا لحد دلوقتي مش مقنع بولا كلمة من الخزعبلات دي، وعلى افتراض إنها بتحضّر حاجة، ولا حتى بتحضّر الشيطان نفسه، أنا عندي جريمة قتل لازم تتحل، ولازم أعرف مين القاتل، وقتلها ليه وازاي.

أجاب خالد بثقة المدرك:

– طيب بص بقى، بشكل علمي، بعض العقاقير أو الأمصال بتستخدم لمنع التحلل أو تبطيئه، لكن تقدر تفسر عدم وجود أي كدمة في رقبتها؟

– أمال كلمتك ليه؟

– يبقى هانمشي ورا الخيط اللي معانا بس الأول لازم نعمل تليفون صغير.

سأل أحمد باندهاش:

- هاتكلم مين؟

أجابه خالد:

- الشيخ عبد الفتاح المهدي، ده واحد من الناس اللي ممكن يفهّمنا الحاجات دي بتعمل إيه هنا، وإيه اللي ممكن نمشي وراه.

همّ خالد بالاتصال، وتركه أحمد على مضض منه، وامتعض بشفتيه، وهو يستدير، ويتجول بالغرفة فتعثّر في طرف السجادة الملقاة على أرضية الحجرة، فرفع طرف السجادة ليرى ما الذي تعثر به، ظل أحمد محدقا في أثناء ما كان خالد يتحدث بالتليفون مع ذلك الشيخ وما إن أنهى المكالمة نظر خلفة ليفاجأ بتجهم أحمد وهو ينظر للأرض، نجمةٌ سداسيةٌ أو ما يطلق عليها نجمة داوود، وفي منتصفها هرمٌ كريستاليٌ صغير، أطراف سداسية النجمة من الداخل بها بعض البقايا من مادة شمعية، مما يفيد بأن شخصاً ما كان يشعل الشموع هنا ويقيم طقوساً معينة، النجمة مرسومةٌ بلونٍ أحمرٍ باهت، لم يكن من الصعب التعرف على أنه دمٌ حيٌ أخذ ربما من شخصٍ مجنونٍ أو من حيوانٍ ما مغلوبٍ على أمره، رفع خالد السجادة عن الأرض وظلا يحدقان بالنجمة والهرم حتى

رفع خالد رأسه ليرى الانعكاس في المرآة بسقف الغرفة، انتــابهم شعورٌ غريبٌ بالفزع، وفجأة سمعا دقات؛ لوهلة جعلت الــدماء تتوقف في عروقهما حتى أدركا أنها على باب الغرفة.

دخل عليهما عم عبد الله البواب متسائلاً:

– خير يا بيه، أنا سمعت زعيق عندكم هو فيه حاجة ان شاء الله؟

نظر كلا من أحمد وخالد له باستغراب شديد ثم أستطرد خالد قائلًا:

– لا لا ولا حاجة، ده الباشا كان بيتكلم في التليفون.

رد عم عبد الله:

– وماله، طيب أنا عملتلكم شــاي، وحــضّرتلكم لُقمــة تاكلوها، بقالكم يجي عشر ساعات هنا والنهار طلع، أنا قلــت كل ده على لحم بطنكم .

إزدادت معالم الدهشة على وجوههم في حين ابتسم خالــد، وأخذ الصينية من عم عبد الله، وشكره بلباقةٍ حتى ينــصرف، ثم قاطع انصرافه قائلًا:

- باقولك إيه يا عم عبد الله، فيه واحد اسمه الشيخ عبد الفتاح جاي في الطريق ياريت توصله، وتقفل الباب وراه، ومش عاوزين حد يدخل هنا لحد مانخلص.

قاطعهما أحمد..

- هو إنتوا كنتوا بتسمعوا أصوات زعيق هنا قبل ما تموّت جميلة؟

أجابه عبد الله:

- والله يا بيه مخبّيش عليك كل ليلة.. بس كنا أول ما بنسمع نخرج نلاقيها قاعدة في البلكونة، فبقول دي مشغلّة فيلم ولا حاجة، ومعليّه الصوت، إكمنها لوحدها يعني فبتتونّس، صحيح مكناش عارفين ازاي بتنام في الدوشة دي بس كل واحد حر في نفسه.

سأله أحمد:

- طيب، والجيران اللي في الفلل اللي حواليكم ماكانوش بيشتكوا؟

- ياما يا بيه اشتكوا بس كانت الست جميلة بتسمع، وتضحك، وهم صراحةً كانوا أول مابيسمعوا ضحكتها كانوا

بيسكتوا، وكأنها بتسحرهم، الست جميلة مكانتش حد بيكرهها، كل اللي عرفها حبها.. الله يرحمها، لكن في مرة جه واحد كـان ساكن جديد وكان ظابط لا مؤاخذه يعني ربنا يحفظك، وجابلها البوليس علشان الصوت، هي اتضايقت جدا وقالتلهم فتـشوا مالقوش حاجة شغالة مشيوا، وتاني يوم عرفنا انه مات، وهو نايم وأهله عزلوا من هنا، الناس كلها قالت هي عملت فيه حاجـة، لكن الطب الشرعي قال انه جتلة ازمة قلبية ومات، ومن ساعتها اللي بيسمع بيخاف يتكلم، حاكم كلام الناس كتير، فيه اللـي قال عليها ملبوسة واللي قال مخاوية، واللي صعبت عليه وقـال هي مالها، انما للحق الواحد ماشافش منها غير كل خير، دي حتى بعد صباح الخير مكانتش بتتكلم ولا كلمة، ده أنا كنت باجبلها الأكل بتاع اليوم على الباب، وأخبط تفـتح تاخـده، وهـي بتضحك في وشي وتقفل الباب من سكات، لدرجـة إن اللـي يشوفها يفتكرها لا مؤاخذة خرسا.

قاطعه خالد بلهجة هادئة:

– طيب يا عم عبد الله الشاي برد بقى، روح انت شـوف شغلك، ولما يجي الشيخ عبد الفتاح زي ما قلتلك.

– حاضر يا بيه تحت أمرك.

وهم بالخروج ونظرة ريبةٍ تعلوا وجه أحمد لما سمعه.

نظر خالد لوجه أحمد حينما لمح معالم التوتر، وحاول تهدأتـــه بابتسامةٍ لم تكن في وقتها، نظر اليه أحمد قائلاً:

– إحنا مزعقناش، ومبقالناش هنا أكتر من ساعة.

رفع خالد الستائر الداكنة، وهمّ بفتح باب البلكونة، ثم قال:

– صباح الخير، الشمس طلعت، تصدق؟

أجابه أحمد متحيرًا:

– إزّاي؟

– فجوة زمنية.

كرّر أحمد كلامه ثانيةً بحدّةٍ مبالغٍ فيها:

– إحنا مزعقناش، ومبقالناش كتير.

– لأ، إحنا مزعقناش بس كان فيه صوت، ومبقالناش كـــتير بس الشمس طلعت.

– مش فاهم حاجة!

–خرجت الكلمات بانكسارٍ مختلطٍ بعندٍ ممتزجٍ بمشاعر الريبة والتشكّك.

- بعض الأماكن ليها مفعول غريب على الـزمن، فجـوة زمنية، يعني مكان عادي تدخل فيه تقعد ساعة تخرج تكتشف إن الوقت اللي قعدته عدى كتير جداً، وانتِ مش حاسس، تعـرف مثلث برمودا؟

- هاتقولي إننا في مثلث برمودا؟

- لأ.. بس حاجة شبهه، الأرض كلها واحدة، إيـه اللـي بيخلينا نيجي عند مثلث برمودا ونختفي، هي نفس الفكرة، طيب أقولك حاجة، الشاي تلج، واحنا فعز الحر، والراجل ماقعدش 10 دقايق من ساعة ما اتكلم، ها؟

نظر أحمد نظرة مشتته، ولكنه حاول استجماع قوته، وتمالك أعصابه وقرّر الصمت.

جلس أحمد، وخالد بالبلكونة يراقبان البواب وزوجته، وهما ينظفان الحديقة بشكل غريب، وكأن شيئا لم يقع في هذا المكان، وكأن مستقبلهما غير مبهم بعد موت مالكة الفيلا، تـرى هـل يعرفون من الوريث، ومتأكدون من أنه لم يستغني عن خدماهم، أو أن هناك شيءٌ آخر يخفيانه، وما من لحظاتٍ حتى أتى الـشيخ عبد الفتاح ولوّح لخالد بيده اليمنى فأشار له خالدٌ بالصعود.

- صباح الخير.

- صباح النور يا شيخنا، أخبارك إيه؟

- الحمد لله على كل شيء، واحشني والله يا دكتور، من زمان ماتقابلناش.

- كله في وقته يا عم الشيخ.

بدأ خالد بتعريف أحمد للشيخ، وكان الشيخ يبدوا عليه عدم الإرتياح فاستكمل خالد التعريف متجاهلاً:

- الشيخ عبد الفتاح من أكبر الشيوخ في فك السحر والأعمال، ساعدنا في حاجات كتير لما كنا في المغرب من 15 سنة، كانت بتجيلنا حالات غريبة، تبقى متأكد من الأعراض إنه مرض معين، وفي نفس الوقت مالوش علاج، ده غير إنه دكتور في جراحات القلب المتخصصة.

قاطعة الشيخ عبد الفتاح قائلًا بلهجة حميمية:

- المغرب، يااااه فكرتني بأيام بعيدة أوي، الناس هناك كانت غريبة، ماتفهمش قد إيه السحر، والأعمال في حياهم مهمة، كانت نص البلد ناسية إن ربنا شايفهم.

قاطعهم أحمد بشكلٍ غير لائق:

- ويا ترى الشيخ الدكتور عبد الفتاح جاي ليه بقى؟

نظر إليه خالد باستياء من أسلوبه ثم نظر للشيخ عبد الفتاح قائلًا:

- إيه رأيك في المكان هنا يا عبد الفتاح؟

- المكان غريب، ومش مريح، تحس إنه مقبرة مش أوضه، المرايات دي مش طبيعية، نظر لعينيه في المرآة وهو مسترسلٌ في كلامه، تحس إن اللي باصص عليك في المراية مش إنت، كأن حد باصص من مكان تاني بيراقبك، وإنت مش عارف.

ظل أحمد ينظر إليهما، وهو خارج الحديث، بينما استانف خالد كلامه:

- لقينا النجمة دي على الأرض، والكف ده.

نظر الشيخ عبد الفتاح للنجمة ثم نظر للمرآة بسقف الغرفة، وفاجأهم بسؤالٍ هو أشبه بصاعقةٍ نزلت عليهما من السماء..

- فين الصندوق؟

نظر خالد مزهواً بانتصاره على أحمد بينما انتفض أحمد من على كرسيه واقفاً، وقاطع:

- صندوق ايه؟

رد الشيخ عبد الفتاح:

- الأمانة.. الأمانة اللي لا تنفتح، ولا تتقري.

رد خالد:

- في بيتي، بس فتحناه.

- لازم أشوفه، دلوقتي.

كان هذا اليوم مريباً بالنسبة لكل الأطراف، بدأ بطلاسم غير مفهومةً من كلام البواب، وانتهى بفزع الشيخ عبد الفتاح من فتح الصندوق، شيءٌ محيّر، وما أن وصلوا لمترل خالد حتى كان أحمد، وخالد متيقنان من شدة تعبهما أهما قد قضيا ليلةً بأكملها دون نومٍ أو أكل، همّ خالد بالتوجه للحمام لغسل وجهه بالماء ربما تنزع عنه شعوره بالإرهاق ثم توجه للمطبخ، وعاد بعد برهة بصينيةٍ بها بعض الساندويتشات الخفيفة ليفطروا، حقيقةً كان وقت الغذاء قد حان ولكن ليلةً من عدم النوم كفيلةٌ بتدمير الشعور بمعنى الساعة البيولوجية والساعات المقابلة الأخرى..

في هذه الأثناء كان كلٌ من أحمد وعبد الفتاح متكئين على كراسي الأنتريه يراقبان بعضهما البعض بنظراتٍ خفيّة دون

حديث، فأحدهما متشكك وغير مرتاح والأخر يعلم بريبة الأول به فلا ينطق ببنت شفة.

قاطع خالد هذا الصمت بكلماته البسيطة:

- ناكل ساندويتشين بقى، ونبدأ معسكر.

فتناول كلٌّ منهما ساندويتشاً بدون كلمـــات، إلا أن خالـــد استكمل حديثه:

- بص يا أحمد، إنت طبعاً مش مصدق إن ده الخيط الوحيد اللي قدامنا دلوقتي لكن الحقيقة هي دي، عبد الفتاح ابن الشيخ محمد المهدي، أبوه وجدوده كلهم كان ليهم زي ما بيتقال كده كرامات.

قاطعه أحمد متهكماً:

- من أهل الخطوة يعني.

أحرجته لهجة عبد الفتاح حين قال:

- أهل الخطوة دي كانت حاجة واحدة من كتير عنـــدهم، أهلي كانوا بيشوفوا الجن، وبيستعينوا بجند من الـــسماء ربنـــا

وكّلهم بمساعدة الناس، زي ماتقول كده إنهم كانوا مخلوقين علشان يبعدوا الشر عن الناس، كانوا بيفكوا أعمال السحر وبيحاولوا يساعدوا في علاج أمراض وتعديل طبايع خلق إنت متسمعش عنهم أصلاً، فين الصندوق.

ذهب خالد ليحضر الصندوق بكل مشتملاته، ووضعه أمام عبد الفتاح على الأرض، فإذا بعبد الفتاح يهبّ من مكانه واقفاً مقشعر البدن قائلاً:

- مستحيل.

قاطعهم أحمد، بصوا بقى، ماهوا إنتوا مش هاتعملوا حاجه إلا لما أفهم! ولازم أفهم، أنا هاتجنن بقالي أسبوعين مش فاهم حاجة.

أجابه خالد:

- هاتفهم بس يا رب تصدّق.

قاطعهم عبد الفتاح:

- بص يا أحمد، الموضوع ببساطة إننا مش عايشين في الدنيا لوحدنا، يعني زي ما تقول كده الأرض مش بتاعتنا لوحدنا والسما برده مافيهاش نوع واحد من الخلق، فيه عوالم وأكوان وأقوام، يعني بحسبة بسيطة كده الحروف اللي احنا بنتكلم بيها

دي عالم.. كل حرف بيمد بقوة معينه، وليه خادم، يعني عالم العلوي يمد بعالم السفلي، وعالم العرش يمد بعالم الكرسي، وعالم الكرسي يمد بفلك زحل، وفلك زحل يمد بفلك المشتري، وهكذا باقي الكواكب؛ حتى الرطوبة واليبوسة والنار والماء والتراب والهواء، علوم كتير مرتبطة ببعض، الموضوع مش فكرة بشر وجن الموضوع إن حتى الجن ممالك، والأيام ليهم خدم والخدم تستدعى بالحروف، والحروف لها علم رياضي، والأرقام طلاسم والطلاسم أوردة، كل حاجة بتوصلك لحاجة، وكل شيء ممكن يكون دليل، خلونا نشوف اللي في الصندوق، وبعدين نفهم، ولا أقولكم نشوف الصندوق من بره الأول.

بدا عدم الارتياح على وجه أحمد، ولكنه بدا مقتنعاً بكل شيء، فبرغم خوفه الشديد من هذا العالم إلا أنه قد جرّب بعض الألعاب في مثل هذه الأشياء في صغره ويعلم جيدًا لما يخاف بالاعتراف بوجوده.

بدأ خالد بتفريغ الصندوق من محتوياته، ووضعها جانبًا على الأرض ثم نزل إليه عبد الفتاح ليتفحص الصندوق، وأخرج من جيبه مدوّنةً صغيرة، وقلماً، وظلّ يدوّن ملاحظاته، وما أن وقعت عيناه على الحروف حتى نطق:

- ج.. س...

قاطعه أحمد:

- صاحبة الصندوق اسمها جميلة سيف.

أجابه عبد الفتاح متهكماً:

- إنت فاكر يا أحمد مين اللي كان قاعد معاكم أيام الثانوية العامة لما كانت ليلة الامتحان وحضّرتوا روح ورفعت السبت وكتبت أسئلة الامتحان؟

فردّ عليه أحمد موجهًا الكلام بخفاء لخالد:

- هو حكالك؟

فرد خالد :

- لا والله ما حكيت بس انت فاكر مين كان معانا؟

- لا بس فاكر كنت أنا، وانت، واسماعيل وحد كده مكلبظ كان صاحبك، وتقريباً ساكن عند بيت جدك اسمه تحتح باين، فينه ده؟

أجاب خالد، وهو يرتمي على الأرض من شدة ضحكه.

- دخل معايا كلية الطب وبعدين سافرنا سوا المغرب، وأنـــا رجعت، وهو فضل شوية هناك، وبعدين رجع علشان يقعد معانا أهو.

جاوب أحمد بخجلٍ بدا مرتسمًا على حمرة وجهه:

- إنت تحتح؟

أجابه عبد الفتاح:

- أنا تحتح.

أجابه أحمد، وهو يحاول أن يداري خجله من الوصف الـــذي أطلقه:

- خسّيت أوي.. معرفتكش.

وانهمك الجميع في الضحك لبرهةٍ من الوقت حتى اســـتأنف عبد الفتاح الحديث ثانية:

- ج و س مش جميلة سيف يا أحمد، الصندوق ده ما يخصش جميلة أصلاً، الصندوق ده أقدم من كده بكـــتير، الحـــروف زي ماقلتلك طلاسم في الأصل.

أجابه أحمد:

- تقرير الطب الشرعي بيقول إن الصندوق عمره حــوالي 300 سنة.

-لأ الصندوق ده أقدم من كده بكتير، تقدر تقول إنه مــن قبل الفراعنه، اسمع بقى اللي هاقولهولكم ده، حــرف الجــيم في العلويات يمتد لزحل، وفي علم الجرف يمتد بالرقم 3 وهو حرف غريب ليه قوة وقدرة مهولة في علم الأسحار والطلاسم تقدروا تقوله كده إنه حرف الدواء للنساء والميسرة والترويح، بيمتزج فيه البرودة والحرارة فيحل رطب خفيف، وكل ما ذكر لأجلــه كان مقضيا، أما السين، فهي في علم الجرف تأخذ منزلة النفــر، إذا نزل بها القمر وهي تُعمل تجد بها روحانية غريبة تساعدك على قضاء حوائج الدنيا، والآخرة بأمر الله، يعني تقدر تقول كده إن الحرفين دول في إسم جميلة صدفة لكن هي مالهاش علاقة بيهــا أصلا، كل الموضوع إن الحرفين دول منقوشين على الــصندوق علشان حماية الصندوق، والتيسيير للعامل بما في داخله.

ثم قام بفتح الصندوق، حتى انبعثت منه نفس الرائحــة الــتي شمها أحمد وخالد سابقا ، وهنا سأل أحمد :

- هي إيه الريحة دي، ريحة غريبة كـــل مـــرة بتطلـــع مـــن الصندوق، وكأنه هو الي بيصنعها.

فنظر خالد لعبد الفتاح مشاوراً له بيديه ليجيب على ســؤال أحمد:

- دي ريحة زرنيخ.

نظر أحمد له متعجباً:

- زرنيخ؟ يعني انت عاوز تفهمني إن الـــصندوق ده كـــان مدفون في باطن الأرض وريحته زي ما هي من ساعة ماطلع؟

أجابه خالد:

- أو تقدر تقول إنه محمي بقوة من باطن الأرض.

- مش فاهم.

أجابه عبد الفتاح:

- سمعت حاجة قبل كده عن ال gray aliens؟

- بتوع الأطباق الفضائية؟

- أيوه.

فقاطع خالد حديثهما:

- أو اللي بيتقال عليهم بتوع الأطباق الفضائية، بعض العلماء قالوا انهم فضائيين والبعض قال انهم منحدرين من سلالة بشرية حصلتلهم طفرة، لكن كل العلماء اللي تعاملوا معاهم أجمعوا على إن بتفوح منهم ريحة الزرنيخ، بعض العلماء الروحانيين أعلنوا ببساطة إنهم من جيوش الأرض أو بالتحديد من جيوش باطن الأرض اللي هايخرجوا للناس كفتنة في بعض الأوقات لحد خروجهم مع المسيح الدجال.

فقاطعه عبد الفتاح باهتمام:

- كانوا بيستندوا في تفكيرهم على حديث للرسول عليه الصلاة والسلام بإن في نهاية الزمن تكثر الفتن، وطبعًا بالأحاديث عن المسيح الدجال انه من أكبر الفتن القادمة، وليه جيوش منها يأجوج ومأجوج، أما اذا فكرت في الفكر الماسوني فهتلاقيهم بيؤمنوا بفكرة ولادة الهجين اللي بيجي نتيجة تزاوج بين الإنس والجن، ومعتقدين تماماً بإنه لازم يحصل لزعزعة العقيدة، فمخلوق بشري ليه صفات الجن دي مش حاجة هايتقبلها العقل ببساطة.

فاستوقفه أحمد قائلاً:

– أنا أصلاً مش مقتنع بفكرة زواج الجن من الإنس، يعني كل واحدة تيجي حامل من حد وأهلها قتلوها، أوقف أبوها قدامي في المكتب أقوله لا والنبي انت غلطان روح استغفر ربنا بنتك شريفة مش يمكن يكون أبو الجنين شمهورش.

عاد خالد للضحك مرةً أخرى ثم قال:

– بلقيس ملكة سبأ كانت هجين من إنس وجن، الفكرة الوحيدة بس إن الشيوخ أخفوا الفكرة دي عن الناس بحجة عدم نشر الفساد زي ما انت بتقول لكن دي حقيقة واضحة وموجودة، واحنا في المغرب جاتلنا واحدة في حالة إجهاض منذر كنت باتابعها أنا، وعبد الفتاح لأن قلبها كان تعبان، واحنا كنا في الطواريء بالليل، لما حدّدت إنها حامل في الشهر السادس أهلها سألوني ازاي، دي بنت بكر، وبطنها كبرت في يومين، عملتلها سونار مكانش فيه جنين، ولا نبض غير نبضها، حطيناها في العناية المركزة وسهرنا جنبها طول الليل، الفجر كانت بتمر بآلام مخاض، طلق، نزول سوايل، البطن متجهة للأسفل، بعلم التشريح حامل مكتملة الحمل في نهاية الشهر التاسع، والولادة متعسرة، اتصلنا بدكتور أمراض نساء وتوليد كان بعيد حوالي تلات ساعات، وهي هتموت، والمستشفى كانت في منطقة نائية، قررنا نولّدها، كل اللي نزل في الولادة كيس الحمل، والحبل السري، بس.. مفيش جنين، لكن الحبل السري فيه غذا يعني

كان فيه حاجة في بطنها، مالقيناهاش، بعد كده عبد الفتاح قرّر يتعامل بالعلم الآخر علشان يساعد البنت، أهلها كانوا هايقتلوها، طبيّاً البنت محدش لمسها، ده بسهولة ممكن يبان بالكشف الظاهري حتى، لكن اللي حصل ان البنت كانت موقعة على علاقة ما في حلمها، واتكرّرت الحالة دي معاها تلات مرات لحد ما اقتنعوا بإن فيه سحر معمول واتفك بأمر الله.

بدا على أحمد التوتر مرة أخرى، يبدو مقتنعاً، ولكنه غير مصدق، أو ربما مصدق، ولكن غير مقتنع.

ردّ عليه عبد الفتاح:

– خلّونا في موضوعنا، الريحه دي زرنيخ، أياً كان بقى الموضوع من الأرض أو الفضاء، والحروف دي حروف حماية، الصندوق ده ماكانش لازم يتفتح أبداً.

ردّ خالد بهدوء:

–اتفتح خلاص، تعالى بقى شوف الكتب، والحاجات اللي كانت جوّاه.

بعد أن تفقدوا جميع المحتويات ردّ عبد الفتاح بصوتٍ هاديء:

– هتصدّقوني لو قلتلكم إن معانا حد رابع؟

نظر خالد، وأحمد نظرة شكٍ، وتهكّمٍ في نفس الوقت، ثم سأل خالد بصوتٍ متحشرجٍ لا يقوى على الخروج:

- رابع إزاي يعني؟

- خادم الصندوق، بيقولكم فتحتوا الباب، وكان لكم فيــه سر، فإذا عُرف سر، قُتل صاحبه.

رد أحمد مقاطعًا:

- سر إيه؟، الموضوع كله شوية كتب.

فأجابه عبد الفتاح:

- مش ده إذا كان أصلاً صندوق.

نظروا لبعضهم قليلًا، ثم قرّر عبد الفتاح أن ينهي هذه الجلسة بقوله:

- إحنا لازم نرتاح شوية علشان نركز، الساعة دلــوقتى 12 خلونا ننام، والصبح أحسن.

- أجاب خالد:

- ومين هايجيله نوم بعد اللي فتحنا فيه ده؟

أجاب عبد الفتاح بمنتهى الثبات، وتعابير وجهه توحي بجدية الأمر..

- لازم ننام، قلتلك الصبح أحسن.

قام خالد من جلسته وتبعه أحمد، وقاطعهم عبد الفتاح :

- اتوضوا، وصلوا قبل ماتناموا، ولا أقولكم هانصلّي جماعة، وكل واحد مننا هاينام في أوضة، والصبح نرجع نكمل.

حاول أحمد تهدئة حدّة التوتر بالمكان فأردف قائلًا:

- تمام، والفطار عليّا، أنا داخل أتوضى.

***

مرّت ساعات الليل بطيئةً على كلٍ من الثلاثة، فعبد الفتـــاح يعلم ما هم موشكون عليه، بينما خالد يفهم هذا العالم، ولكنه لم يقترب منه سوى في كتبه، أما أحمد فظل يتذكر تلك الليلة، وهم شبابٌ مقبلون على حياتهم ضحك على هذا اليوم حينما جاءهم أحد الأصدقاء، وقد اشترى كتاباً من بائع الروبابيكيا، وقال لهم بأن الكتاب به وصفة تحضير للجن وبدؤوا يتحدون رجولتهم بمن الذي يخاف.. فجلسوا جميعاً حول الطاولة المثلثة، وعلّقوا القلـــم بالخيط في ثبات ووضعوا ورقة...

يااااه ذكريات الشباب، دقة واحدةً غالياً كانت تعني أجــل، ودقتين تعني لا، كان شرطاً غريباً أن يكونوا مجردين من الملابس، ربما يذكر من الكلام الغريب الذي كان يقال، شيء مثل:

سيرياسور، ميريامور، سهل الأمور،ثم تبعته بعض الكلمــات التي كانوا يعتقدون بأنها اسم الجان طهطقيل مهطقيــل، تــذكر حينما قالوا الواحا الواحا العجل العجل، خبطة واحدة يعــني آه خبطتين يعنى لأ، ضحك ضــحكةً مــستترة ثم قــال بــصوتٍ مسموع:

- في حد معانا؟

تجمّد الدم في عروقه، وهو يسمع دقةً لا يعلم من أين جاءت، تسارعت ضربات قلبه، بدأ يركز أكثر وسأل مرةً أخرى:

- حد هنا؟

سَمع دقةً أخرى، إنتفض من سريره مرتعباً، وأخــذ ركنــاً في الحجرة، وتقوقع واقفاً معطياً ظهره للحائط، وقال بصوتٍ عالٍ:

- مين هنا؟

كانت الدقة الثالثة تأتي من قرع الباب نقرتين، ودخول خالد، أطال النظر في وجه أحمد ثم سأله بتعجب:

- مالك يا أحمد في إيه؟

- سألت في حد هنا، خبّطوا خبطة واحدة، سـألتهم تـاني، خبّطوا تاني، أنا مش قصدي، أنا بس افتكرت يومها.

قاطعهما صوت خبطة عالية، فصرخ أحمد:

- أهو!.

ضحك خالد ضحكةً عاليةً مشيراً بأنه لا شيء يدعو للخوف ثم وضح له أن الطرقات التي سمعها ما هي إلا خبطاتٌ في نافـذة شباكٍ في العمارة المقابلة لهم، فهي شقةٌ قديمةٌ لا يسكنها أحد،تطل على الجهة البحرية فتجد الشباك يتخبّط بشكلٍ غير منظّم إذا ما طاله الهواء..شرب أحمد كوباً من الماء، وحاول أن يسترجع دعوة النوم التي أضاعها الفزع من شيء ما بداخله، ظـلّ محـدقا في الضوء المنبعث من خلف الشيش على السقف لا يقوى على غلق جفنيه يفكر فيما حدث بالماضي، يا ترى روح كمال قد تجئ يوماً لتصارعهم.. هل تعتقد حقاً أنهم تركوه للجن الذين لم يعرفوا أن يصرفوه حتى قتله؟ أم أنه قد فقد عقله من كثرة قراءاته الغريبـة وتجريبه المستمر في هذا الجنون؟ الوقت بطيء، وعقارب الساعة تشكل ضجيجاً يوحي بأنهم داخل فيلمٍ مرعب، ساعاتٌ طويلـةٌ انقضت، أو ربما لحظاتٌ قد أثقلها الخوف، لا يعلم، ولكن مـن المؤكد أن الوقت لم يعد له تقديرٌ في هذه الظروف.

جلس خالد يقرأ في غرفته وحيداً، ذلك الكتاب المهترئ، لم يكن يدري لماذا كتم على أحمد وعبد الفتاح أنه يعلم هذه الجملة مسبقاً، "إذا كُشف سر قُتل صاحبه" ماذا تعني هذه الجملة ولماذا تتكرر بكثرةٍ في يومين؟ ما الذي جعله يفتح صندوقه القديم، لماذا اختار هذا الكتاب اصلاً ليقرأه في هذا الوقت، لا مجال لوجـــود الصدف في مثل هذه الأمور، فمنطقية البشر لا تصلح لمن هم من غير البشر، وإذا أردت... فالمنطق في تعاملٍ مع غير البشر هو في اللا منطقية على الإطلاق، قراءة الكتاب لم تكن صدفة،تكـــرار الجملة رسالة.

قاطع تفكيره نداء بائع الروبابيكيا المعتاد بيكيااااااا، حتى أن شراءه هذه الكتب جميعها من بائع الروبابيكيا من الأصل لم تكن مفارقة حظ، لقد اختاروه لتنفيذ مهمةٍ لا يعلم عنها شيئاً حـــتى الآن، ولكن ربما كانت مهمةً صعبةً، لسببٍ غير مفهوم.

حل الظلام فجأةً وهو يجلس على الأرض في وسط الغرفـــة ممسكًا بالكتاب، ربما انقطع التيار الكهربائي، همّ بالجلوس ولكن بدنه اقشعرّ فجأةَ، ما هذه اليد التي استقرت على كتفه؟ لم ينطق ولكن سرعان ما امتدت على رقبته، أحس بـــبرودةٍ وحـــرارةٍ شديدة ،لم يدرك أياً من أحاسيسه في تلك اللحظة، مستـــسلماً

وكأنه أدرك بأن ميعاده قد حان، لم يسمع سوى فحيح ثعبـــان، رآى عينيه الصفراوين في الظلام وكأنها تشع نوراً، ثم اختفـــت، ضربات قلبه تتسارع أو ربما أوشكت على التوقف.

***

– صباح الخير يا جماعة.

قالها أحمد لعبد الفتاح، وخالد وهما يخرجان من غرفهمـــا في نفس الوقت، ظلوا يتساءلون في داخلهم، مـــا الـــشيء الـــذي أيقظهم في وقتٍ واحد ؟ همّ خالد بالجلوس على الأريكة المقابلة للتليفزيون وأمسك بالريموت وبدأ يقلب محاولاً إخفاء تـــوتره، فسارع أحمد بقطع الموقف قائلًا:

– طيب أنا قلت الفطار عليّا، هادخل أحضّر الفطـــار، أنـــا جبت امبارح شوية جبن وعلبتين فول، نفطر ونشوف هانعمل إيه النهارده.

– نظر خالد وعبد الفتاح لبعضهما وسألا في نفسٍ واحد:

– هو النهارده ايه؟

فأجابهما أحمد مبتسماً:

– يا سلام على التوافق، النهاردة الجمعة.

أعادا النظر لبعضهما مرةً أخرى ثم تابعا سوياً مـــرة أخـــرى أيضاً:

– أو التلات

جاء أحمد بصينية الإفطار متسائلاً :

– الجمعة يبقى التلات إزاي يعني؟ مالكو النـــهاردة! انتـــوا ضربتوا حاجة من ورايا والا إيه؟

تجاهل عبد الفتاح مداعبته التي بدت أنها في غير موضعها على الإطلاق قائلاً:

– في علم الأيام البعض يعتقد إذا لم يكن الغالبية في أن يـــوم التلات هو يوم الشر الأعظم، يعني بالبلدي كده تقدر تقول مثلاً إن الشر اتخلق يوم التلات، قابيل قتل هابيل يوم التلات، نزول آدم من الجنة كان يوم تلات، خروج إبليس من رحمة الله كانت يوم تلات، توعّد إبليس للبشر كان يوم تلات، حتى أسوأ أعمال السحر يوم تلات، ظهور الأطباق الطايرة والغرباء الرمـــاديون كان يوم تلات حتى إن أول يوم في سنة 2013 اللي تنبـــأ لهـــا البعض بإنها سنة بداية نهاية العالم وظهور الحروب والفتن ومبتغى الشرور والقتال كان يوم تلات، فإذا صحت هذه الأقوال فـــإن

يوم التلات في العالم السفلي هو بداية الأسبوع فالسبت بقى التلات، والحدّ بقى الأربع، والاتنين بقى الخميس، والتلات بقى الجمعة وبحسبة ساعات التوافق، والمقابلة والتضاد فإن لو في يوم الجمعة استجابة في توافقها، أو تضاهيها ساعة استجابة الشر في عالم السفلي، يبقى الجمعة هو التلات.

توقّف خالد عن النظر إليهم، وقاطع :

- يا ترى الأخبار إيه النهاردة؟

توقفوا جميعا عند حديث على أحد القنوات الرصدية الوثائقية يتحدث فيها أحد المصريين عن منزلٍ ما شبّ به حريقٌ غريب في الستينات، وقيّدت القضية ضد سببٍ مجهولٍ خارجٍ عن الطبيعة، حيث أقر رئيس الطب الشرعي بأن هذا المنزل مسكونٌ أو ربما ملعونٌ بلعنةٍ لا يعرفها سوى أصحاب المنزل، صمتوا لوهلةٍ ثم ظهر صوت خالد :

- تفتكروا دي رسالة، ولا صدفة؟

كانت سيارة أحمد هي الأنسب في مثل هذه الظروف فهو عاشقٌ للسيارات الصغيرة ذات الموديل الحديث، وحيث أنه من الواضح أن السيارات الكبيرة لا تلائم شوارع شبرا القديمة، إلى

جانب أنه الوحيد القادر على القيادة الآن، فيبدوا أنه برغم ما حدث له في بداية ليلته إلا أنه كان الوحيد الذي حصل على قسطٍ من الراحة.

***

بدا اليوم مريحاً طبيعياً في أوله، فغير أنهم قد استيقظوا في الواحدة ظهراً وفي وقتٍ واحد جميعهم، وعدا ما صادفوه بالتليفزيون، لم يكن هناك شيءٌ غريبٌ سوى قرارهم في الوقوف أمام هذا المنزل الملعون الذي سمعوا عنه، لا أحد منهم كان يعلم ما يجول بذهن الآخرين، إلا أن كل واحد منهم كان متأكداً بشكلٍ غير طبيعي من أنهم سيجدون خيطاً ما لحل القضية التي يعملون عليها، وبعد مشوارٍ سهلٍ نوعاً ما من المعادي لشبرا مروراً بالإشارات اللطيفة، ومداعبةٍ للعامة الرائعين يبتسمون ويلوحون لك في سيارتك وهم سائرون في الشوارع وقت الذروة في يومٍ مشمسٍ جداً من أيام الصيف، وصلوا لمبتغاهم، كان يكفي أن تصل لروض الفرج وتسأل عن بيت العفاريت فين، وكانت كلمة بيت العفاريت حلاً للغز وبدايةً للغزٍ جديد، فبيت العفاريت دوماً تُطلق على منزلٍ فارغ، مهجور، ربما في مكانٍ مظلمٍ منقطعٍ عن العمار، إلا أن هذا البيت المكوّن من

أربعة طوابق هو منزلٌ عاديٌّ جدًا، تسكنه أسرةٌ بالطابق الثاني، أما باقي الأدوار فقد تركها سكانها، نظر الثلاثة للمنزل من الخارج، ربما ذابت آماهم لوهلةٍ في أن يجدوا شيئاً مميزاً، فالبيت أكثر من عادي، إلا أنهم همّوا بالدخول .

بدت المقابلة غريبةً في البداية، فليس من الطبيعي ولا المقبول أن يطرق باب شقتك رئيس مباحث وطبيبين أحدهما يتحدث عن الأعمال والسفلي وتجدهم يلقوا عليك تحية الصباح ويستأذنوك في الدخول ليتحدثوا عن العفاريت الذين يقطنون العقار معك، كانت المقابلة في البداية مربكة، إلا أن تفاعل صاحب المنزل كان مهدّئاً، فمن البشر من يتلذذ بالإحساس بالأهمية، وهذا النوع عادةً ما تعتريه مشاعر النشوة للحصول على الشهرة والظهور، كان صاحب العقار والذي يحمل اسم (م.أ) من هذه النوعية من البشر، بدأ الحوار باسترسالٍ من صاحب العقار أنه كان ملكاً لأخين وأخت، والآن هو ملكٌ للورثة الذين يريدون إخراجه من المنزل وهو لا يريد، محاولاً استدرار عطفهم للوقوف بجانبه إذا كانوا من المشترين، حيث التف الحوار لأنهم يريدون إعطاءه نصيبه فقط دون التعويض عن الشقة ومثل هذا الكلام، فجأةً بدا على خالد الاستياء من الكلام وقاطعه فجأةً:

– أستاذ م، لو سمحت إحنا مالناش دعوة بالمواضيع دي احنا جاينلك في مهمة محددة.

إلا أن أحمد قاطعه بحنكةٍ قائلاً :

– لا يا خالد بس هما كده مالهمش حق، حضرتك إحنا سمعنا إن البيت للبيع، وكويس إننا جينالك ، ممكن نتفق على السعر بس نتفرج على البيت كله، وادّينا تليفونات الورثة ونتفق معاهم على سعر تاني، يبقى إنت خدت حقك والتعويض عن الشقة..

إنتشى م على كرسيه حينما شعر بمتعة وصوله لما هو يرجوه، وهنا قاطع عبد الفتاح تفكيره قائلاً :

– طيب نتفرج على البيت؟

بسرعة نهض الأستاذ م مقاطعا:

– طبعًا اتفضلوا، البيت والله يا جماعة مافيهوش حاجة، ده كله كان زمان، ما احنا عايشين أهو، هي بس الإشاعات بتاعت الناس، علشان حريقة بسيطة كده كانت في الدور الرابع، وبعدها عزّل عمي، وولاده من هنا، الناس بقى قالوا عفاريت، وبتاع، اتفضلوا تحبوا تبدؤوا منين؟

رد أحمد:

- يا ريت من أول دور.

إتجهوا جميعهم للأسفل ليريهم البدرون، بابٌ حديديٌّ قـــديمٌ ظهر عليه أنه لم يفتح منذ وقتٍ طويل، سأل عبد الفتاح:

- شكله قديم الباب ده والقفل كمان غريب أوي.

تبسّم صاحب العقار قائلاً:

- معاك حق يا دكتور، القفل ده بتاع أبويا، هو حطّه هنا مـــن ساعة ما الراجل اللي كان مأجّر البدرون ماسابه ومشي، يجي من خمسين سنة، وماحدّش محتاجه في حاجة ففضل مقفول، تعرف إني أول مرة هادخله معاكم.

نظر كلٌّ من خالد وأحمد لعبد الفتاح الذي أشـــاح بوجهــه عنهم لينظر مبتسماً ابتسامةً صفراء مصطنعة لصاحب العقـــار، وهو يفتح الباب.

وما إن انفتح الباب حتى ظهر المكان غريباً جداً جداً، رائحة عفنٍ تفوح من كل مكان، هو بالأصل مكانٌ واسعٌ بـــه عـــدة أعمدة، تقريباً يأخذ مساحة المترل بالكامل، حـــوالي 250 متـــراً ولكنها مساحةٌ مفتوحة، عدا من ممرٍ ضيقٍ في آخر هذه المساحة

يفصل الحمام، والمطبخ الصغير، لا يوجد به شيءٌ غريب، لكنه محمّلٌ بكل ما هو غير طبيعي، فاللوحات على الجدران محترقةٌ تماماً، طاولة سفرةٍ مكونةٍ من ستة كراسي جميع كراسيها محروقٌ إللا واحد، أنتريه من طراز الأسيوطي القديم محترق، كل شيءٍ محترقٌ حتى نهايته إلا قرنٌ معلقٌ على الحائط، ومصحفٌ على الطاولة، وجزءٌ من إنجيلٍ قديم، و إناءٌ صغيرٌ من الواضح أن شخصًا ما ألقاه بجانب الحائط ولم يهتم أو لم يحتسب أن غيره سيراه، خمسون عاماً مدةٌ ليست بسيطة، ولكنها لم تكن مدةً تمنع طبيبين أقل ما يمكن وصفهما به هو الجنون، من معرفة أن هذا الإناء كان يحتوي على بعض الدماء المتجلطة منذ نفس المدة تقريباً؛ حدث شيءٌ ما في هذا المكان منذ خمسين عاماً كان هو السبب في كل شيء.

إبتسم عبد الفتاح وطلب الصعود للدور الأول، شقةٌ عاديةٌ جداً من الشقق القديمة، باب الشقة بالمنتصف، يُدخلك على صالةٍ واسعةٍ وبها عدة أبوابٍ متجاورة، خمسة غالباً كان العدد، خمس أبوابٍ لخمس غرف وفيهم غرفةٌ بها بابٌ يوصل للخارج، كانت تسمى قديماً غرفة الضيوف، ممرٌ ضيقٌ بنهايته حمامٌ ومطبخ، لم يكن بها شيءٌ مميز.

الدور الثاني لم يرغبا في أن يقلقا سكانه من أسـرة صـاحب العقار، الدور الثالث كان غريباً جداً، لوهلة تشعر بأن هناك كمٌّ من الرطوبة العالية بمجرد دخولك الشقة، تقريبًا هي شقةٌ بنفس المواصفات السابقة لشقة الدور الأول، إلا أنها كما يطلق الجدود "لها نفسٌ غير مرغوب فيه"؛ الدور الرابع، ظلوا جميعاً صـامتين لعدة دقائق، هم أمام الشقة الرابعة، ولكن كل منهم في قـرارة نفسه يعلم أنه لم يصعد درجةً واحدةً على السلم بـين الـدور الثالث، والرابع، تستطيع القول بأن النيّة وحدها كانت كافيـةً للصعود، تجمّدت أجسادهم، وبدا الرعب على صاحب العقار، فمن الواضح أنه لم يفكّر في الصعود لهذا المكان من قبل، كـل المكان من البداية مرعب، الظلام يحل محل كل شيء، ولكن هناك بصيص من الضوء يدخل من شيش النوافذ ليزيـد مـن حالـة الرهبة في المكان، همّ صاحب العقار بفتح النوافذ، ويـا لتيـه لم يفعل، بالتأكيد لم يكن يعلم ما سيحدث! كشف نور الشمس عن أشياء غير منطقية، فكيف للهيب النار أن يلتهم الحوائط إلا مـا علّق عليه لوحٌ تحمل لفظ الجلالة أو آيـات القـرآن، بعـض الدواليب المفتوحة تدل على أن النيران انبعثت من داخلها بينما خارجها لم يطله اللهب، أثاث المنزل بالكامل بات مهترئاً لـيس

من الزمن بل بفعل الحريق الذي نشب في هذا المترل منذ خمسين عاماً ونشر عنه بعض المقالات الغريبة في الجرائد الرسمية وقد امتد التأثير بالتأثر من الحادث لكتابة قصة مقتبسة قُدّمت فيلماً سينمائياً، بحجرةٍ من الحجرات كان هناك صينية بها عددٌ من القوالب الزجاجية التي كان يوضع بها الروب " الزبادي" في هذا الوقت، كان عددها 13 قالب، لم يكن وجودها بالحقيقة لغزٌ لأيٍّ من الحاضرين إلّا صاحب العقار، حيث استطرد قائلا:

– ههههه، الظاهر حد كان بيأكّل قطط باين.

فنظر اليه أحمد قائلا:

– طيب على خيرة الله، إحنا المكان عاجبنا، وإن شاء الله هانشتري، وبالسعر اللي تقول عليه، وبعد عدة مهاترات إستطاعوا أن يحصلوا على رقم تليفون أحد الورثة وهو شاهد عيان من سكان الدور الرابع والذي بدوره برغم صغر سنه في ذلك الوقت إلا أنه كان معاصراً لكل شيء.

عاد الثلاثة لمترل خالد بعد أن اتصلوا بالوريث الثاني وأعطاهم موعداً بالغد، فاليوم إذاً راحة من كل شيء، إلا على ما يبدو من الصندوق، توجهوا جميعاً لمترل خالد ،كانت الساعة

قد أوشكت على السادسة، توقفوا لشراء بعض الطعام الـــذي اعتاد أحمد وخالد أكله من شبرا، فما من مطعم فطيرٍ يضاهي هذا المحل الصغير في شارع شبرا؛ ثم اتجهوا للمترل بسرعة وبدؤوا في الأكل جميعهم دون الحديث إلا عن ذكريات الطفولة، كان هناك خلفيةٌ غريبةٌ منبعثةٌ من التليفزيون، فيلمٌ عربيٌّ قديمٌ مـــن زمـــن الأبيض والأسود، حيث جلست غجريةٌ تقرأ الكفّ لشخصٍ ما فبعد أن أخبرته بقرب موته استطردت بجملةٍ غريبة:

"وحافظ يا بني عالسر، فالسر اللي يتفضح يا ويل صاحبه".

إنتفض خالد من مكانه وظل واقفا أمام التليفزيون، سأله عبد الفتاح باندهاش بينما صمت أحمد من هول المفاجآة.

– مالك يا خالد فيه إيه؟

– مش غريبة إنك تسمع جملة واحدة تلات مرات في أقل من 48 ساعة، وقبلها بساعتين تلاته تكون قاريها؟ وتنام فاتجيلك في حلمك، إيه هو السر اللي بيحاولوا يخلوني ماقولهوش، ومين اللي قالهولي وإمتى وازاي؟!

قاطعه عبد الفتاح:

– يا ترى فيه حاجة تانية إنت ماقلتهالناش؟

- لأ!

- متأكد؟

- متأكد، ولو في، أنا حر، إحنا هنا علشان بنحل قضية مش علشان كل واحد فينا يجبر التاني يعمل إيه ويقول إيه ومايقولش ايه، أنا تعبان، هادخل آخد دش وبعدين نتفاهم.

نظر كلٌ من أحمد وعبد الفتاح لبعضهما وظلا صامتين وكلٌ منهما في داخله يشعر بالدهشة من أسلوب خالد، فقد كان خالد شخصاً من نوع الأشخاص الذين يميل دمهم للبرودة، لا يغضب ولا يتوتر ولا ينفعل على الإطلاق مهما حدث، فكونه يتحدث بهذه اللهجة الآن فهذا ربما يعني الكثير والكثير.

سمع أحمد صوت موسيقى هادئة قادماً من بعيد، ربما يستمع شخصٌ ما خلف الباب لموسيقى ناعمة تنبعث من جهازٍ ما، لم يكن يعلم أين هو ولا ماذا جاء به إلى هنا، الظلام دامس، وكأنه في كهفٍ مغلق، حاول أن يصل لصوت الموسيقى ربما يجد من يساعده، حاول أن يخطو خطوةً ولكنه تعثر كاد أن يقع إلا أن عينيه فجأة أبصرت الضوء في كل مكان.

- يااااه... ألو ... أيوه مين؟

اتكأ على السرير قبل أن ينتفض من مكانه مقاطعاً من يحدثه:

- بتقولي إيه؟، سر إيه ، مين معايا؟

انقطع الاتصال فجأة، وحاول أحمد أن يلتقط أنفاسه، اتضح أن الأسوأ من الحلم هو هذا الاتصال الغير منطقي الذي تلقـاه، دُقّ الباب ودخل عبد الفتاح متسائلاً:

- إنت هتنام للصبح ولا إيه الساعة بقت 12.

ثم لاحظ التوتر على وجهه.. فأكمل:

- مالك يا أحمد فيه إيه؟

- ولا حاجة حلم غبي وتليفون غلط حد بيقول كلام مالوش أي لازمة، أنا قايم أهو.

- طيب يلا إحنا عملنا الشاي.

حاول أحمد أن يستعيد اتزانه بعد هذا الاتصال، حاول إقناع نفسه بأنه اتصالٌ خاطئ، لم يكن هو المقصود، ولكنه قـد بـدأ يستوعب فكرة أن لا مجال للصدفة في هذه الأحـداث، نفـض الفكرة عن رأسه ووقف ليستعد لما ينتظره بالخارج.

– إيه يا جماعة انتو قاعدين قدام الصندوق كده ليه؟

نظر اليه خالد ورد عليه بهجوم :

– أمال نعمل إيه؟

أثار رد خالد أعصاب أحمد مما جعله يردف قائلًا :

– مش فاهم يعني، ليه بتتكلم كده، إحنا لو كنا عيال كنت هاتخانق معاك !

– هتتخانق معايا ليه يعني؟ أنا كلمتك؟

– ما تشوف بتتكلم إزاي !

إستدعى ارتفاع صوتهما تدخل عبد الفتاح محاولاً تهدئة الأمور.

– إيه يا جماعة ما تهدوا شوية، مالك يا خالد انت من امبارح مش مظبوط؟!

– ولا مش مظبوط ولا مش متنيل أنا ماشي، وسايبلكم كل حاجة.

عمّ الصمت بالمكان بعد أن كاد الباب ينخلع إثر نزول خالد، وقف أحمد وعبد الفتاح ينظران لبعضهما محاولين فهم ما الداعي لذلك .

أوشكت الساعة على الثانية وأحمد وعبد الفتاح جالسان يتباحثان في شؤون الحياة وعن القصص التي قابلت عبد الفتاح في حياته، وبرغم استمتاع أحمد إلا أن استمتاعه كان كاستمتاع طفلٍ يروي له أحد الكبار عن مغامراته مع الدببة والأسود في أحد الغابات، ربما ثلاثة أرباع الكلام كان غير منطقيّ ولكن أحمد كان يساير الجلسة حتى انفتح الباب ودخل خالد بكيسٍ كبيرٍ به بعض المشروبات الغازية والطعام محاولاً بابتسامته الإعتذار عن ما بدر منه، فابتسم أحمد وهم بتناول الأشياء منه ورصها على الطاولة المقابلة.

دقت الساعة الثالثة صباحا فأشار عبد الفتاح للصندوق قائلًا:

- طيب إيه بقى؟!

- يلا بينا.

رد خالد.

فهمّوا بالاتجاه ناحية الصندوق، إلا أن ما وجدوه كان شيئا غريباً ومحيراً، فكيف لم يلاحظوا هذا من قبل؟ كان الصندوق في مكانه إلا أنه قد خرج منه طرف يشبه الدرج الخفي، فجلس عبد الفتاح ناحية الصندوق وبدأ بفتحه.

باغت أحمد بالسؤال المنطقي الوحيد في مثل هذا الموقف:

– إيه ده؟

فرد عليه عبد الفتاح:

– ده الصندوق، اللي احنا فتحناه ده كان مجرد غطا، لكن الدرج ده هو الصندوق.

كان هذا الدرج أشبه فعلاً بصندوقٍ آخر به حلقةٌ حَوَت عدداً من الخواتم، جميعها له شكل غريب.. تشعر مع كل واحدٌ أنه خاتم سليمان، كل الخواتم كانت من الفضة، وكل خاتم به حجرٌ كبير جميعها كانت تنم عن أنها أحجار أصلية قيمة، القدم يظهر عليها إلا أنها مازالت برّاقةً ولامعة، لا يغطي الخواتم أيٌّ من الأكاسيد الناتجة عن تلفح الهواء والرطوبة بها وكأن هذا الدرج كان تابوت تحنيطٍ لكل ما بداخله، مع الخواتم كان هناك قنينةٌ بها سائل أحمر ما إن فتحوه علموا على الفور أنه دم، كان الدم سائلاً ولكن كيف؟ تعجب أحمد كثيراً فعلى أقل تقدير أنه دم أُخذ قبل الحادث أي قبل ما يتعدى الأسبوعين فما الشيء الذي جعل هذا الدم غير متخثّر وعلى حالته؟

كانت هناك ثلاث مخطوطاتٍ قديمة نُقش عليها إن صح التعبير عدة طلاسم توحي بأنها من أعمال سحرة أو أنها وسيلةٌ

استرشاديةٌ لهم فيما يفعلون، ظلوا محدقين ببعضهم البعض لدقائق حتى قام خالد بفتح جهاز اللاب توب وبدأ يبحث عن مقاصد هذه الأشياء، ولكنه سرعان ما ترك ما بيديه حين فاجأته جملةٌ قالها عبد الفتاح وهو ممسكٌ بورقةٍ في يديه، الحقيقة لم تكن ورقة، ولكنها كانت قطعةً من الجلد توحي بأنها جلدٌ بشري كما قال هو :

– الجلد ده ليه كمالة مش موجودة، فحافظ على هذا السر، ولا تملكه لأحد، فإذا انكشف سر قُتل صاحبه.

قاطعه خالد:

– تقصد ايه؟

– ده المكتوب على الجلد.

رد عبد الفتاح.

فقاطعهما أحمد بالسؤال:

– إيه هو السر؟ تفتكروا السر ده كان السبب في قتل جميلة؟

فرد خالد ببساطة:

– السر ده بقى بتاعنا إحنا.

فكرّر أحمد سؤاله:

- إيه هو السر أصلاً طيب؟

نظر إليهما عبد الفتاح ثم قال:

- هنحاول نعرف دلوقتي.

مرّت عدة ساعات، وكل منهم ممسكٌ بجهاز لـــلاب تـــوب الخاص به محاولين البحث في شأن كلٍ مما وجدوه، إلا أن عبـــد الفتاح قاطع هذا البحث قائلًا:

- تعرفوا إن الخواتم دي كلها أصلية، وكلـــها بتـــستخدم للخدمة؟

فانبهر أحمد بتراكيب الجملة، وسأل:

- يعني إيه الخدمة؟

- يعني كل واحد منهم بيخدمه أحد الخدام من الجن، تطلب منه اللي انت عاوزه، أو تلبسه،وانت بتؤمره بالنية فيلبّي الدعوة، ويساعدك.

قاطعهما خالد:

- أنا حلمت حلم غريب إمبارح،والظاهر إنكم لازم تعرفوه.

بدأ خالد يسرد تفاصيل حلمه، وهم في ريبة مما يسمعان، فبالتأكيد أصبحت اللعنة تطاردهم الآن، تمنّى أحمد لو لم يكن اتصل بخالد، وكان أنهى القضية بتقييدها ضد مجهول لينتهي كل هذا الكابوس الذي مازال لم يبدأ بعد، أصعب أنواع الخوف هو الخوف من المجهول، والأصعب هو الخوف من المجهول الذي تعلم أنه يراك وأنت لا تراه، تيبّس جسدا كلٍ من أحمد وعبد الفتاح وهما يسمعان تكرار الجملة التي أصبحت جملةً تتصدر كل الجمل برغم أنهم لا يعرفون معناها، وفجأةً انتفضوا جميعاً وهم يسمعون هذا الصوت المرعب، حقيقةً لم يكن سوى دقات الساعة، أصبحت الساعة التاسعة، وموعدهم مع وريث المنزل كان في العاشرة والنصف.

***

في أحد المقاهي الشهيرة بمنطقة العجوزة كان ينتظرهم (ك.م) هو رجل جيشٍ متقاعد يعمل الآن في مجالٍ بعيدٍ كل البعد عن وظيفته القديمة، بدا من تحيته لهم بأنه شخصٌ مهذّب، ومن الواضح أنه يرتاد هذا المكان كثيراً فكل من بالمكان يرحبون به، يبدو من هيئته أنه لبقٌ منمقٌ منظّم، يهتم بمظهره كثيراً، له نبرة صوت توحي بثقته بنفسه، من ابتسامته يمكن أن تعلم بأنه أبٌ

حنون برغم قسوة طباعه، محبٌّ لكل من هم حوله، متديّنٌ من كثرة ذكر لله في كل كلامه، إلا أنك من تجاعيد وجهه تعرف ببساطة أنه عصبيٌّ جداً، كان من السهل على خالد الدخول له حيث كان من السهل عليه أيضاً أن يتوقع بأنه برج الدلو، فخالد من برج الميزان، ويهتم بهذا العلم، إلى جانب أنه أيضاً يسهُل على أبراج الهواء الإحساس ببعضهم البعض والتفاهم منذ وقوع النظرة الأولى.

رحّب بهم كثيرًا، وجلسوا جميعًا على طاولة مُربّعة في جانب من جوانب المقهى الذي كان يحمل المعالم النوبية، كان المكان مريحاً جداً، وخاصةً أنه لا يرتاده العامة، خاصةً بهذا الوقت من النهار، بعد المجاملات والتعارف المبدئي فاجأ خالد الحضور بقوله:

– أستاذ "ك"، أنا دكتور خالد، طبيب تشريح وبكتب قصص عن الجرائم الغريبة، ودكتور عبد الفتاح، الحقيقة تقدر تسمّيه كده شيخ روحاني، وأحمد بيه رئيس قسم أول المعادي، بدون ما نطوّل عليك، إحنا بنحقق في جريمة قتل غريبة، وبنعتقد إنك ممكن تساعدنا.

نزل حديث خالد كالصاعقة على سمع كلٍ من أحمد، وعبد الفتاح، فلم يكونا يعرفان أبداً أن هذا ما سيقوله، إلى جانب أنهم

لا يعرفون هذا الشخص، إلا أن خالد كان يعلم أن رجل الدلو خدوم وصريح، ولا يحب أبداً المراوغة، وأقصر الطرق له هـو طريق المباشرة.

كان رد "ك" غير متوقعٍ على الإطلاق حتى من قبـل خالـد حيث أردف:

- عفاريت برده؟

ظل الحوار بين خالد، و"ك" بالعين حتى ردّ خالد:

- هو حضرتك برج إيه؟

إبتسم ك قائلًا:

- برج الجردل، هههههههه

- تمام، كنت متأكد.

- بس ماتخافش.. أنا وديع جداً.

ضحكاتٌ متوترةٌ سادت المكان ثم بدأ ك بالحوار:

- متهيّألِي أنا أعرف الدكتور عبد الفتاح ؟

فأجابه عبد الفتاح مجاملًا:

- أنا ليّا الشرف يا فندم، أنا عبد الفتاح المهدي، طبيب قلب يمكن نكون اتقابلنا..

قاطعه "ك" :

- إبن الشيخ محمد المهدي الله يرحمه؟

- أيوه حضرتك تعرفه؟

- إنت متأكد؟

- أيوه هو فيه إيه؟ كان مديون ولا إيه؟

ضحكاتٌ مصطنعةٌ أخرى لمحاولة تهدئة الموقف.

- الشيخ محمد المهدي الله يرحمه هو اللي جه عندنا في البيت علشان يشوف موضوع الحريق، أكيد ده اللي جايبكم النهارده، لكن ازاي تسألني عن حاجة هو عارفها؟

-بابا الله يرحمه ماكانش متوقع إني هادخل في الموضوع ده، ده غير إني الحقيقة ماكنتش أعرف حاجه عن البيت ده إلا امبارح بس، والله يرحمه بقى، ثم أطلق إبتسامةً عريضةً إنتهت بقراءة الفاتحة على روح كل أمواتنا.

أردف "ك" قائلًا:

- الحريق ده كان ليه ملابسات كتيرة، هاحكيلكم الموضوع ببساطة، إحنا كنا عايشين في بيت شبرا في الدور الرابع، كنا مأجّرين الدور الأول، وعمي ساكن في الدور التاني هو، وولاده، وعمتي في التالت مع أولادها، وإحنا في الدور الرابع أنا، وماما، وبابا الله يرحمهم وأخين وأخت، ماكانش في أي حاجة غريبة في البداية ده بيت عيلة وعايشين فيه من زمان ورث يعني، لحد ما اتأجّر البدرون لواحد كان بيقول إنه قسيس، أنا الحقيقة مش متأكد من المعلومة دي، وما أعتقدش، أصله كان بيعمل أعمال وبيحضّر حاجات غريبة، كنا دايمًا واحنا طالعين السلم نسمع أصوات، تراتيل غريبة ومش مفهومة، واحنا عيال كنا فاكرينها صلوات بس كانت برده غريبة عننا، لاحظ إن شبرا كلها مسلمين ومسيحيين عايشين مع بعض وعارفين كل حاجة عن بعض، لكن اللي كان بيقوله عمره ماكان زي اللي بنسمعه عند صحابنا أو حتى فى الكنيسة لما كنا بنروح معاهم في العيد، وبعدين بدأنا نسمع واحنا بنلعب صوت زي صوت الصرخ المكتوم، فاكر في مرة طلعنا قلنا لبابا، فنزل للراجل ده فقاله ده مسلسل في الراديو، وطلع بابا ضربني علشان باتصنّت عليه، لكن فضل الراجل ده لغز بالنسبة لنا، لما كتر كلام الجيران على

الأصوات طلب منه بابا، وعمامي إنه يمشي بس هو فاجأهم بأنه مش هايمشي، وعرض عليهم إنهم يبيعوله البيت، الحقيقة كـــان عارض مبلغ كبير جداً ممكن يجيب لكل واحد فيهم شقة تمليـــك ويبقى معاه فلوس كمان، وده شككهم فيه أكتر، يعني الفلـــوس دي كانت تخليه يشتري تلات اربع بيوت زي بيتنا.. فإيه السر اللي يخليه يدفع ده؟!.

قاطعهم أحد الجرسونات الذي يعمل بالمكان، وهـــو يـــضع الطلبات على الطاولة:

- أي خدمة تانية يا فندم؟

ردّ أحمد بابتسامةٍ عريضة:

- شكراً.

أكمل "ك" حديثه قائلًا:

- يمكن بعد كده بأسبوع بابا الله يرحمه بقى إترقى في شغله، كان موظف كبير في سكك حديد مصر، بس كان الحقيقة ليـــه بعض المغامرات الشبابية كده إنتو فاهمين بقى، أمي كانت ســـت طيبة جدًا بس تقدروا تقولوا كده من أهل الخطوة، عارفين الناس اللي ممكن تعرف إيه اللي بيحصل في مكان، وهم مش موجودين فيه؟

صمت قليلاً، وهو مبتسم ربما يسترجع ذكرياته مع والدتــه الذي بدا عليه حبه لها كثيراً، ثم أكمل..

- كان ممكن نسمعها بتقول لبابا كان فين، ومع مين لدرجة إنه كان ساعات بيقلق يعمل حاجة لتعرفها، بابا كان شديد قوي بس كان بيحبها جداً، في الفترة دي بــدأنا نــسمع أصــوات، حاجات تختفي، حاجات تطير واحنا قاعدين، حاجات كده يعني، بعدها إبتدت أختي تسمع أصوات، أختى بالمناسبة كانت البنــت الوحيدة في البيت وزي ما قالوا كل الشيوخ اللي جم إن إتصالها أقوى بالعالم ده علشان هي في سن مراهقة.

قاطعه خالد مستفسراً:

- يعني إنتوا جبتوا شيوخ علــشان كنتــوا فــاهمين إن في عفاريت؟

- طبعاً، زمان كان عادي جداً إنــك تــشوف أو تــسمع الحاجات دي، يعني، ظروف الحياة، ماكانش فيه كهربا طــول الوقت، مكانش فيه عمار أوي، كان طبيعي إنك ممكن تكــون ماشي في مناطق زراعية بالليل تشوف حمار براسين مثلاً، أو على شريط القطر.. كان فيه واحدة ماتت قطر خبطها وكنا بنــسمع صريخها كل يوم في نفس الوقت، كده يعني.

قاطعه أحمد:

- بس غريبة إن عمر حضرتك مش كبير أوي يعني، وإبن عم حضرتك بيقول إن الحريق من خمسين سنة؟

- لأ الحريق الأول هو اللي كان من خمسين سنة، كنت تقريبًا عندي عشر سنين، كان الحريق في البدرون، بعد ما بابا جاب شيوخ في البيت قالولنا إن فيه حد حضّر جن مسيحي، ويهودي، وكافر في المكان، وأطلقهم على البيت، فاكر كمان إن الشيخ أحمد المهدي جدّك كان من اللي جم عندنا يا دكتور وكان والدك معاه كان عنده بتاع عشرين سنة، وهم اللي قالوا كده، وقالوا إن اللي حضر كان في البيت وإنه مسيحي.

قاطعه أحمد:

- القسيس.

- بالظبط، كل التفكير اتجه ليه في الوقت ده، وعلى ما يبدوا إن قراءة الشيخ كان فيها حاجة بترجّع العمل لصاحبه، كان بيقول حاجات كده زي لو مش هاتمشوا هاتتحرقوا، يرد الأذي لصاحبه، مع شوية كلام مش فاهمه ومش فاكره، بعدها بكام يوم كنا نايمين، وقبل الفجر بحاجة بسيطة سمعنا صريخ ستات في

العمارة اللي قدامنا بيقولوا حريقة، قمنا من النوم جرينـــا كلنـــا على تحت لقينا البدرون والع، لما جم بتوع الطب الشرعي كانوا مستغربين جداً لأن كل حاجة كانـــت في مكانهـــا ـتـــى جثـــة القسيس، كان قاعد على كرسي السفرة مولع ومتفحم تماماً، هو والكرسي اللي قاعد عليه، وكان فيه شوية كتب وورق وريش وطبق فيه دم وقطط مسلوخة وحاجات غريبة بعد كده الطـــب الشرعي رجع لبابا الكتب والحاجات اللي ممكن حد ياخدها من الورثة وقيدوا القضية ضد مجهول، طبعا صعب يا أحمد بيه تقيـــد قضية ضد عفريت،هههههههه.

- بقالي يومين بقولهم كده والله، هههههههه.

كانت جلسةً غريبةً بكل هذا الحديث، ولكنها كانت مشوّقه ومُريحة، فعلى ما يبدو أن "ك" يمتلك من الله هبة تجعل من يـــراه يرتاح له..

قاطع خالد ضحكاتهم مستدعياً بإيماءة منه ل "ك" أن يُكمـــل حديثه:

- بعد ما بابا خد الكتب رماهم في السندرة، وجه الـــشيخ المهدي، وإبنه وقروا تاني في البدرون، وقفلوه ونبّهوا علينا مـــا

يتفتحش، بابا قاله حاضر بس مقالوش علـــى الكتـــب، يمكـــن ماجاش في باله أصلاً، بعد كده عدّت عشر سنين ماحصلش فيهم أي حاجة، لحد ما ماما فتحت السندرة، ونزّلت الكُتب، خـــدها منها بابا، وقالها ما حدش يقراها مش ناقصين، وحاول يحرقهـــا، بس ما اتحرقتش.

قاطعه عبد الفتاح :

– إزاي؟، فضل منها حاجة يعني؟

- ما اتحرقتش أصلًا، الكتب مكانتش ورق، دي تقريبًا كانت جلد قديم، تحس إنها كانت مُحصّنة من أي أذى، دخّلــها بابـــا أوضته، لكن تقريباً فتح، وقرا منها كام سطر من كل كتـــاب، تعرف الفضول الذي يقتل أحياناً، إلا كتاب واحد بابا فعلًا خاف يفتحه لأن على الجلده بتاعته كان ملزوق ورقة مكتوب عليهـــا "هذا سر وإذا كُشف سر قُتل صاحبه".

عم الصمت لبضعة دقائق بدا فيها ك متوتراً لما ارتسم علـــى وجوه ضيوفه من الخوف، والدهشة، ومشاعر الربكة، ولكـــن سرعان ما أردف عبد الفتاح :

– بدأتوا تشوفوا حاجه تانيه؟

- الأول كنا بنشوف قطط، حوالي 13 قطة يستنوا بابا على باب البيت في معاد نزوله، ويفضلوا ماشيين وراه، وبعد كده نشوفهم جايين معاه كأنه موكب.

نظر خالد لعبد الفتاح الذي كان مبتسماً هو الآخر.

أكمل "ك":

- كان في قطه معينة كانت بتدخل مع بابا الأوضة، وبابا يقفل الباب، ويقول محدش يدخل، في مرة ماما بصت من خرم الباب، وقعدت تقولنا فيه واحده ست عريانة مع أبوكو، واحنا بصينا مالقيناش إلا القطة، كنت ساعتها أنا خطبت وبشتغل، وبصت ماما مرة من خرم الباب فلقت الست اللي بتقول عليها دي بصّالها.. إتنفضت، بعدها بدأت تحصل حاجات غريبة لماما تبقى قاعدة، ونلاقي ضوافر إيديها، ورجليها بتتخلع لوحدها نسمع صوت أقلام على وشها بس مفيش حد، جبنا تاني الشيخ المهدي وابنه الشيخ محمد جه معاه، كان ساعتها عنده حوالي 33 سنة، خلّوها تلبس في السلسلة صليب مع المصحف، وفضلت لابساها لحد ما ماتت، أما بقى أختي فكانت ساعات بتتكلم بأصوات غير صوتها، وبيبقى بقها مقفول، بدأت تاني الحاجة تطير قدامنا، واحنا قاعدين، صوت خبط، يحصل زلزال يكسر كل

حاجة، وبعدين يطلع في بيتنا إحنا بس، كل ده اتعوّدنا عليــه إلا حاجة كانت غريبة جداً، كل اللي كان بيجيلنا كان بيقول إنــه عند الدور التالت بيحط رجله على أول سلمة يلاقي نفسه فوق قدام الشقة، لحد ما في يوم من الأيام سمعنا صوت بصينا في الأوض لقينا كل الدواليب مطلّعة دخان أبيض، فتحنا الدواليب خرجت نار كلت كل حاجة قدامها، ورجعت تاني في الدولاب، واختفت، ساعتها ماما قالت مش هاقعد في الشقة دي تاني، مشينا وخــدنا شوية حاجات بسيطة معانا رحنا في شقة تانية بعيد. عــن شــبرا خالص.

بعد كده كانت الحوادث كلها لا تُذكر قياساً باللّي شُفناه ، أمي مثلًا تلبس، وتفتح الباب، وتخرج، وبعد دقيقتين ترجع معاها حاجات، وعرقانة وجايبالنا حاجات من السيدة، أختي تغــسل غسيل البيت كله في خمس دقايق، وتلاقيه منشور لوحده، الحادثة الوحيدة اللي فضلت معانا إن أخويا اتصاب في الحريق.

قاطعه أحمد :

– مات؟

– لأ، بعد الحريق بلّغنا الشرطة، وجُم يحقّقوا، وطبعاً مالقوش حاجه، دكتور الطب الشرعي كان مقتنع إن ده مش فعل بــشر

بالمرة، لحد ما مره، وهو بيدوّر على دليل على أي حاجة شـــاف رجل معزة من تحت الترابيزة، وبص فوق ماشافش حاجة خاف، وجري، وجه تاني يوم مع شيخ، سألونا حد فيكم بيشوف حاجة قلنا لأ، لكن أخويا شاور وقالهم أهم، نطت حاجة عليه من فوق العمارة، كائن غريب شبه القرد ورجله زي المعزة، لونه إســـود وعينه حمرا، ليه مناخير تشبه الخنزير، نط على راسه وقع مغمــى عليه، نقلناه على المستشفى قالوا عنده ورم في المخ كبير ودخل في غيبوبة، طبعاً الوضع كان صعب علينا كلنا، وفي الوقـــت ده جه الشيخ محمد المهدي وقالنا مش هاينفع الموضوع يتحـــل إلا بالمصالحة من أهل البيت، أنا قلت أنا اللي هاطلع، طلعت صينية زبادى ورز بلبن وطلعت لوحدي، وابتديت أقرا الكلام اللـــي كان كاتبهولي لكن بابا خاف عليّا، وطلع وأنا في نـــص المكـــان لقينا البيت بيترج نزلنا، ومن ساعتها محدّش بيعتب الشقة دي.

تساءل عبد الفتاح:

– وأخو حضرتك ؟

– فضل في المستشفى 11 سنة غيبوبة، وفي يوم كنت بايـــت معاه صحيت لقيت تلاتة لابسين لبس أبيض زي بتاع العمليات فاتحين دماغه، قمت لقيت إيد اتحطّت على قورتي، وبتنيمني تاني،

غمت ما اعرفش ازاي، الصبح لقيت راسه مربوطة، وجـه بابـا
ةحكيتله، اتعصّب جداً، وزعق وجه الدكتور على زعيقه ، قاله
أنا ابني مش فار تجارب، إزّاي تعملوله عملية من غير ماتاخـدوا
موافقتنا، وازاي أصلاً تعملوها له هنا في الأوضة من غير تعقيم،
ولا أي حاجة، وكان رد الدكتور مفاجأة بالنسبة لنـا كلنـا،
الدكتور قاله ما اعرفش حاجة، وماحدش كان هنا إمبارح أصلاً،
ولا حد ممكن يعمل عملية زي دي في مصر كلها، وطلب إنـه
يعمله آشعة فوراً، الآشعة بيّنت إن العملية اتعملت، بس الحقيقة
الجرح كان لامم يعني العملية تقريبًا كانت اتعملت من حـوالي
شهر، وهي كانت لسه معمولة إمبارح، بعد الآشعة أخويا فاق،
وهو ناسي كل حاجة حصلت بعد الحريق؛ دي كـل حكايـة
البيت، لكن أنا حكيتلكوا كل حاجة، ولسه مش فاهم إيه دخل
ده بالجريمة اللي عندكم؟

ردّ خالد قبل أن يتلجلج أحمد، وعبد الفتاح :

– هاقولّك، بس الأول فين الكتب اللي كانت مع والدك؟

– للأسف مراتي باعتها لبتاع الروبابكيا من غير ما اعـرف،
افتكرتها حاجات قديمة لبنتي الكبيرة، أصـلها غاويـة الكتـب

القديمة، وبعد ما اتجوّزت، وخدت اللي هي عايزاه مراتي لقـــت الصندوق مكركب، ومالوش لازمة باعته باللي فيه.

– صندوق؟

نظر إليه خالد متسائلًا يطلب الإيضاح.

– الكتب كلها كانت في صندوق قديم عليه شوية فصوص، ومنقوش عليه حروف، شكله صندوق قديم أنـــا صـــراحة، ولا فتحته، ولا أعرف إيه جوّاه إلا كتاب سمعت بابا بيحكي عنـــه لعمي اسمه تقريبا ابن قيداش.

ويمكن شموس المعرفة، وكام حاجة كده عن السحر الأحمـــر والأسود، وفاكر إن قاله إن فيه شوية خواتم، لكن بابا كان قافل الصندوق باقفال قديمة كان وارثها عن جده، وحـــتى المفـــاتيح بتاعتهم كان شكلها غريب وطوال أوي، وماما باعتهم لبتـــاع الروبابكيا برده قبلها بسنين علشان محدّش يفتح الصندوق.

نظر خالد ل "ك" مبتسمًا:

– أنا متشكر جدًا لتعب حضرتك، وعلى وقتـــك، أكيـــد هانتصل بيك تاني.

فقاطعه "ك":

- والجريمة؟

- واحده ماتت بعد ما اشترت الصندوق.

لم ينطق أيٌّ من أحمد أو خالد أو عبد الفتاح بكلمة طوال الطريق من العجوزة للمعادي، ربما كانت الصدمة أكبر من استيعابهم، ربما كان الموضوع من البداية مفارقة وربما كانوا هم المعنيون بحمل الأمانة وغلق الصندوق، لم يعلموا فيما يفكروا على الإطلاق، صندوقٌ تسبّب في تفحّم جثة، وغيبوبة شخص، وحريق منزل، وقتل سيدة، واستقر ليصيبهم بالجنون، ما هو السر الذي لا يصح كشفه؟ وكيف يخبئونه وهم ثلاثة؟ وكيف يحصنّوه وهم لا يعرفوه وإذا عرفوه فقد كشفوه، كانوا يعلموا جيداً بعد هذه المقابلة، أن الآتي ما هو إلا بداية اللعنة.

بدا اليوم من البداية يومًا طبيعيًا بلا أي مشكلات عدا بعض الإرهاق الذي شعر به كلٌّ من الثلاثة حين توجّهوا للعمل، فهم لم ينالوا قسطاً من الراحة منذ ثلاثة أيام سوى بعض السويعات البسيطة، إن صح القول بأنها كانت راحةً مع هذه الأحلام المزعجة، توجّه عبد الفتاح للمستشفى بمنطقة المقطم، وأحمد لمستشفى بمصر الجديدة بينما ترجّل أحمد لمكتبه في قسم أول المعادي، لم يكن قريباً جداً من المترل، ولكنه وبرغم تعبه كان

يشعر بأنه محتاجٌ لهذه الرياضة البسيطة حتى يستجمع قواه الـتي فارقته منذ الصباح، وصل أحمد للمكتب، وجلس متكئاً علـى كرسيه، فدخل عليه الصول عوض حاملاً فنجان القهوة، كـان عوض من الأشخاص المقربين لنفس أحمد، وكان يعامله كوالده، وكان عوض أيضا يشعر بأن أحمد مثل ابنه الذي لم يُنعم الله عليه به.

قال عوض:

– صباح الخير يا أحمد باشا، جبتلك القهوة بنفسي، وقلـت أصبّح عليك، خير فيه حاجة يابني ؟ أنا شايفك مش ولابُد.

– لا يا عم عوض أنا تمام الحمد لله، بس مانمتش والله اليومين اللي فاتوا دول أكتر من تلات أربع ساعات على بعـض، ويـا ريتني نمتهم بجد كمان، أحلام، وكوابيس خلّتني أقول يا ريـتني مانمت أحسن، بس الحمد لله.

فأجابه عوض مُكملاً دائرة الألغاز:

– حاجه غريبة أوي يا باشا، إنت خامس واحد ألاقيه بيقول موضوع الكوابيس دي، كل اللي طلعوا الفيلا إياها بتاعة قضية الست اللي اتقتلت بيحلموا بكوابيس، هو للدرجة دي شكلها يخوّف؟

- كل اللي طلعوا؟

- أيوه يا باشا، كل اللي كانوا مع حضرتك، حسام باشا المعاون، وزكريا، وإبراهيم، والإتنين الدكاترة بتوع الطب الشرعي.

-بتوع الطب الشرعي؟ وإنت عرفت منين؟

- ما هم جم امبارح علشان يشوفوك، لكن إنت ماكنتش هنا، قلتلهم تاخدوا التليفون قالوا لأ الموضوع مايتقالش في التليفون، واحد منهم سايب الكارت ده و معاه ورقة.

خطف أحمد الورقة من يد الصول عوض، وقرأها قبل أن يقرأ ما في الكارت:

" كلمنا ضروري، أو ياريت نتقابل، عارفين إن خالد بيساعدك، يا ريت يكون معاك في المقابلة."

- مساء الخير يا جماعة.

قالها أحمد فور ما فتح له خالد الباب، ولكن بدا عليه أن الجملة لم تكتمل بعد، فقاطعه عبد الفتاح:

- جاي بدري يعني، الساعة لسه 3.

- عندي كلام مهم !

ردّ خالد باهتمام:

- الصندوق؟

- سيب الصندوق على جنب دلوقتي، ماحدّش أصلاً يعرف إننا لقيناه،دكاترة الطب الشرعي عاوزيننـــا، وعـــارفين إنـــك بتساعدني يا خالد، وعاوزينك معايا، سايبين الكارت ده، نتصل بيهم إمتى؟

ارتدى خالد جاكيت أسود اللون كان مُلقى على الأريكـــة التي كان يجلس عليها عبد الفتاح، وهو يُكمل حديثه:

- حالاً، يلّا بينا.

لم يكن عبد الفتاح متوتراً، بالعكس فقد جـــاءت الفرصـــة مواتيةً له تماماً لفعل ما يريد، هو وحده الآن، والـــصندوق، ولا ثالث لهما، وجد الفرصة مناسبةً ليعرف حقيقة ما حدث، كـــان يعلم تماما أن قصة المترل القديم ليست إلا اتجاهاً موازياً لما هم فيه ولكنه لم يصرح، فهو من النوع الذي يحب أن يفهم أولاً ثم يقرر ما الذي يصلح لقوله، من البداية كان يعلم أن أحمـــد خـــائف وخالد يجتهد، ولكنه لا يعرف، فمن السهل قراءة أفكار الآخرين

ومعرفة نسب صدقهم إذا كنت متواصلاً مع قرينتك، ويا للصدفة السعيدة إذا كانت قرينتك ملكةٌ عاشقةٌ من ملوك الجن، أجل مراوغة، ولكنها تمدّك بعددٍ من المعلومات الصحيحة أحياناً.

جلس عبد الفتاح أمام الصندوق، أحضر الورقة التي قد خبّأها عنهم دون أي ينتبهوا، فلقد كانا مشغولين بالأكبر، سألها عن الورقة فسمع صوتاً يقول له :

– اسأله بنفسك.

علم من إجابتها أنها تريد منه تحضير شيءٍ ما، أحضر سلسلة الخواتم وأخرج منها واحداً ليضعه في بنصر اليد اليسرى، كان يعلم جيداً أنه خاتم حمايةٍ، وتحصين، يرتديه من يحضّر لمنع التباس الجن به، فتح الورقة المطوية محاولاً حمايتها من التقطّع، فهي مهترئةٌ بما فيه الكفاية.

"تقفول مرطول.. آه آه آه.. طاليب بقراهيا.. أدوناي أصباؤوت.. الواحا الواحا.. الساعة الساعة.. العجل العجل"

إبتسم، وهو يعلم بأنه يحل مربوط عمل، فهو يعلم ما يحضره ليأمره، ولكن قاطع ابتسامته هذا الصوت، تخبيطٌ على الأبواب، ترك الورقة من يده، وظل يصرخ في فزع:

- أتوني بخير، وإلا أحرقتكم.

صمت الصوت فجأةً، ظل يترقب ربما لدقيقة، ولكنها مرّت كساعات، جلس على الأرض مرةً أخرى في استقبال القبلة، فهو الموقع الجيد لحمايته، بدأ يهدأ نوعاً، ولكن تُرى لمن هذه اليد التي استقرت على كتفه؟؟

لحظاتٌ من توقّف الحياة، قفز ليأخذ الورقة لقراءة صرف ما أحضره، فربما هو غير قادرٍ على التعامل معه، توقيتٌ غير مناسب لحدوث زلزالٍ يبعد كل شيء، كان كل شيءٍ يتحرك باستثناء اليد التي على كتفه، همّ بأن يجري ليأخذ الورقة، ولكن قبل أن يصل إليها كانت قد اشتعلت، لا يعلم من أين جاءت هذه النار، تذكّر الخاتم في يده، هل اختار الخاتم الخطأ؟

كيف لم يلاحظ اختفاء الخاتم؟ ما الذي يحدث؟ انتهى الزلزال، كل شيءٍ في مكانه عدا الصندوق الذي أصبح مقلوبًا بما فيه، صوتٌ غريبٌ ينبعث من شخصٍ ما، من هذه السيدة البشعة؟ ومن أين جاءت، رائحتها لا تُطاق، رائحة القبور ليست مُريحة، مُحرشفة الجلد، سوداء، تلمع عينيها بلونٍ أحمرٍ غريب، أنفها يشبه أنف الخنزير، مُجعّدةٌ مشعثة الشعر.

تسارعت دقات قلبه، أو ربما أوشك على التوقف، ظلّ صامتاً يستمع لها:

-الباب مفتوح، وإذا كُشف سر، قُتل صاحبه، ومش هيتحميك.

دقّ الباب فهمّ عبد الفتاح بفتحه ليجد أحمد وخالد يبتسمان:

– مش هاتصدّق! جميلة ماتت موتة ربنا.

– إيييييه؟

– آه والله!

ردّ خالد

– إزّاي؟

بدأ خالد بالشرح:

– فاكر في مؤتمر ألمانيا لما اتفرجنا على تشريح جثة راجل كان عظم رجله يكاد يكون مش موجود؟

– آه فاكر بس ده كان..

صمت للحظة، كيف لم يفكرا بهذا من قبل..

– نقص أملاح؟؟؟؟

أردف خالد:

- بالظبط جميلة كان عندها خلل جيني بيمنع امتصاص الأملاح في منطقة العنق، والتفتُّت ده نتيجة لنقص الأملاح في عضم العنق، وده يفسر إنها كانت واخده وضع يشبه وضع النوم، أما بالنسبة لبشرتها اللي تغيّرت فجأة بعد الموت، فده نتيجة إن زيادة الأملاح في الدم وتحت الجلد، علشان كده بعد جفاف السوايل اللي في جسمها بعد الموت بدأ يظهر التجاعيد في بشرتها، في الأول وفي الآخر عندها 50 سنة.

قاطعه عبد الفتاح:

- وبطء تحلّل الجثة طبعًا لنفس الفكرة.. الأملاح هي اللي ساعدت على الاحتفاظ بالأنسجة وقت أطول.

- تمام.

قاطعهم أحمد:

- يا جماعة أنا كده ارتحت، مش تقولولي عفاريت، وبتاع، صحيح بالمناسبة هانعمل إيه في الصندوق؟ ماحدش غيرنا يعرف عنه حاجة.

ردّ عبد الفتاح:

- لأ في.

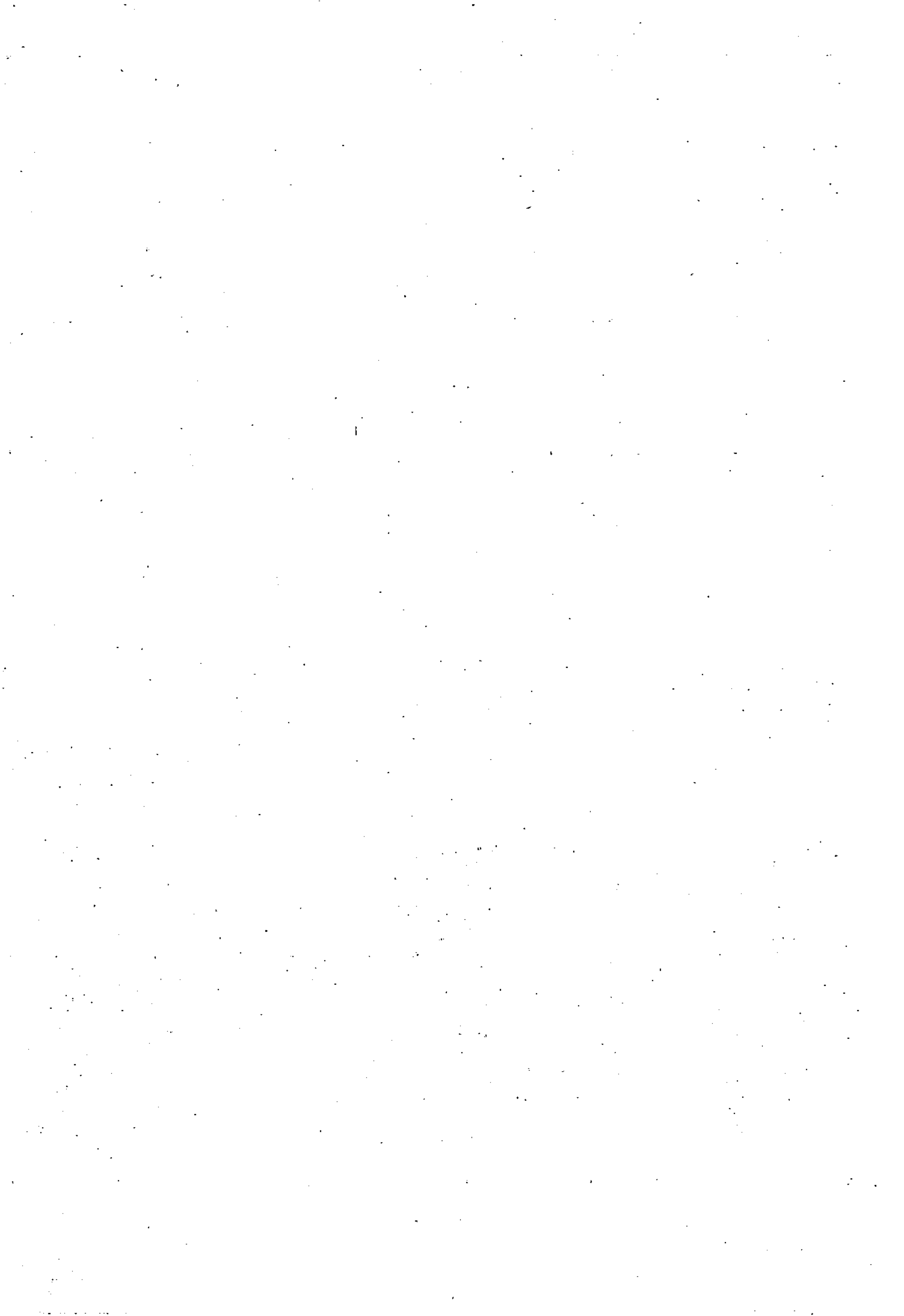
نظر إليه أحمد، وخالد باستغراب من طريقة نطقه للكلمـــات فقاطعهما رنة هاتف خالد المحمول...

- ألو.

- أيوه يا دكتور أنا "ك".

- أهلاً وسهلاً يا فندم إزي حضرتك؟

- لو سمحت، فين الصندوق؟





سلسلة السر 1

اللعنة الأولى

من هذه السيدة البشعة... ومن أين جاءت، رائحتها لا تطاق، رائحة القبور ليست مريحة، محرشفة الجلد، سوداء، تلمع عينيها بلونٍ أحمر غريب، أنفها يشبه أنف الخنزير، مجعدةٌ مشعثةُ الشعر؛ تسارعت دقات قلبه، أو ربما أوشك على التوقف، ظلّ صامتاً يستمع لها الباب مفتوح، وإذا كشف سر، قتل صاحبه





دار اكتب للنشر والتوزيع

12 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور المرج الغربية – القاهرة – مصر

01144552557

E-mail : daroktob1@yahoo.com



9789774882920